*مجلة جامعة الملك عبدالعزيز:* الآداب والعلوم الانسانية، م٢٩ع٧ ص ص:١٥٩- ٢٠٢ (٢٠٢١م)
DOI:10.4197/Art.29-7.7

# رسالة ابن حزم الأندلسي في فضل الأندلس وذكر رجالها
# دراسة في الرؤية والتشكيل

**د. عمر فارس الكفاوين**
*أستاذ مشارك- قسم اللغة العربية وآدابها*
*كلية الآداب والفنون- جامعة فيلادلفيا- الأردن*

*مستخلص.* هدفت هذه الدراسة إلى استجلاء رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها، ومعالجتها معالجة موضوعية فنية، منطلقة من رؤيتها وتشكيلها، وقد رصدت أبرز أبعاد الرؤية فيها، كالبعد الذاتي، والغيري/ الجمعي والنقدي، ودرستها دراسة موضوعية، تنطلق من هدف الرسالة وبواعثها، ثم بحثت في آليات التشكيل الفني التي توسل بها الكاتب؛ للتعبير عن أفكاره وآرائه، كاللغة، والتناص وأساليب الحجاج، حيث أسهمت هذه الآليات _أيضًا_ في إضفاء سمة الجمال والحيوية على نص الرسالة، بوصفها عملًا إبداعيًّا متماسكًا.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الموضوعي؛ للكشف عن أبعاد الرؤية ومكامنها، متكاملًا مع المنهج الفني الذي ساعد في رصد الآليات الفنية التشكيلية ومعالجتها. وخلصت الدراسة إلى نتائج عدة، كان أهمها: قدرة ابن حزم على الرد على ابن الربيب الذي عاب على الأندلسيين تقصيرهم في تخليد مآثر بلدهم وفضائل علمائهم، وكان ذلك من خلال سوق الكاتب الحجج، والبراهين والأدلة على ما يأتي به من حقائق وأفكار، وحشده عددًا كبيرًا من المصنفات وأسماء المؤلفين الأندلسيين، فضلًا عن أن الرسالة حققت شرط النصية والخطاب؛ لما توفر لها من ثنائية تقوم على الرؤية والتشكيل، اللذين تعاضدا وتعالقا في تكوين النص وبنائه.

الكلمات المفتاحية: ابن حزم، رسالته في فضل الأندلس، الرؤية، التشكيل.

## المقدمة

يعد فن الرسائل من أبرز الألوان الأدبية النثرية التي شاعت في العصر الأندلسي، وقد جاء ذلك بفضل عناية الكثير من الكتّاب به، أمثال ابن حزم (ت٤٥٦هـ)، وابن الدباغ (ت٤٦٣هـ)، وابن زيدون (ت٤٦٣هـ)، وابن عبدالبر (ت٤٧٤هـ)، وابن طاهر (ت٥٠٧هـ)، وابن أبي الخصال (ت٥٤٠هـ) وغيرهم، حيث اهتم هؤلاء في رسائلهم بالتنوع في الموضوعات،

بين الإخوانيات، والرسائل الديوانية، والحربية، والوصفية، والنقد السياسي والاجتماعي، والحض على الجهاد، والرسائل الدينية، والفكاهية، ورسائل المفاضلات والمفاخرات وغير ذلك.

وتعد رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها من الرسائل الأندلسية التي اهتمت بإبراز فضائل الأندلس، ومآثر أهلها العلمية، والفكرية والحضارية. وقد سعت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء عليها، منطلقة من رؤيتها وتشكيلها، إذ لا بدّ لكل عمل أدبي إبداعي من رؤية يجسدها الكاتب فيه، ترتكز على تجاربه في الحياة، ونظرته إلى الوجود وإلى الآخر، وتنعكس هذه الرؤية من خلال أبعاد موضوعية وأنساق ثقافية، يساعد في تكوينها، وإظهار معانيها تشكيل فني، يقوم على آليات عدة، منها: اللغة، والبيان، والبلاغة، والتناص وغيرها، إذ يتعاضد الركنان معًا (الرؤية والتشكيل)، ويتعالقان لبناء النص.

وقد انطلقت الدراسة من قاعدة أساسية، مفادها أن رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها، تستحق الدراسة بوجه أكثر مما قدمه بعض الدارسين حولها؛ لما لها من أهمية في رصد تصانيف الأندلسيين، وإحصاء أسماء علماء الأندلس، وتصنيف مؤلفاتهم، وإبراز دورهم في إغناء الحضارة والفكر، وعليه فقد هدفت الدراسة إلى: إلقاء الضوء على هذه الرسالة المهمة، وعلى نصها المتماسك القائم على ثنائية الرؤية والتشكيل، وكشف أبرز رؤاه الفكرية، وإظهار تشكيلها الفني بآلياته المتنوعة التي أسهمت في تجسيد الرؤى والأفكار، وأكسبت النص الجمال والحيوية. وقد اختار الباحث هذا الموضوع مدفوعًا بعوامل عدة، منها: أن معظم الدراسات الأدبية والنقدية حول ابن حزم ورسائله، كانت تركز اهتمامها على رسالته (طوق الحمامة)، وهي على أهميتها ومكانتها الأدبية، إلا أن لابن حزم رسائل مهمة غيرها، وتستحق البحث والتمحيص، كرسالته هذه محور الدراسة، فضلًا عن أن بعض الدراسات التي عالجت رسائله بوجه عام، لم تختص هذه الرسالة بشيء من التوسع، ولا سيما في محوري الرؤية والتشكيل، وكل ما كان فيها ما هو إلا إشارات عابرة، ومتناثرة ونزرة حول أسباب كتابتها وبعض مضامينها؛ لذا فقد ارتأى الباحث إفراد الرسالة، وتخصيصها بدراسة مستقلة، تفي بحقها، وبأهمية موضوعها.

أما الدراسات السابقة، فمنها ما كان عامًا، حول رسائل ابن حزم جميعها، ومنها ما خصص رسالته في فضل الأندلس، ولكن بموضوع غير موضوع هذه الدراسة، ومن تلك الدراسات:

أولًا: دراسة إحسان عباس، المعنونة (تاريخ الأدب الأندلسي_ عصر سيادة قرطبة)، الصادرة بطبعتها الثانية عن دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩م، وقد جعل الرسالة فيها من ملحقات الكتاب، وأشار إلى نصها بتحقيقه في الصفحات (٣٤٧-٣٦٩)، ولم يعلق عليها.

ثانيًا :مقدمة إحسان عباس في تحقيقه (رسائل ابن حزم الأندلسي)، الجزء الثاني، الصادر بطبعته الثانية عن

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، حيث أشار في الصفحات (٣٥-٣٨) إلى دوافع ابن حزم لكتابة الرسالة، وأبرز المصادر الأندلسية التي احتوت نصها أو نصوصًا منها، كجذوة المقتبس للحميدي، ونفح الطيب للمقري، ثم تحدث عن أبرز موضوعاتها باقتضاب، كإشارتها إلى فضائل المدن الأندلسية والمشرقية، وإلى مصنفات الأندلسيين، ومقارنتها بنظيراتها المشرقية، وإلى تنكر الأندلسيين لعلماء بلدهم، وإلى أبرز العلوم والمعارف التي صنف بها الأندلسيون.

ثالثًا: دراسة فايز القيسي، المعنونة (أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري)، الصادرة بطبعتها الأولى عن دار البشير، عمان، ١٩٨٩م، حيث أشارت إلى الرسالة، وصنفتها تحت (رسائل فضائل البلدان) في الصفحات (٢٠٩-٢١٤)، تحدث فيها عن أسباب كتابة الرسالة، وأشار إلى بعض مضامينها، كإشادة ابن حزم بالسلطان صاحب البونت، ومحاولته إضفاء صفة القداسة على الأندلس باستشهاده بحديث الرسول عليه السلام مع أم ملحان، وتحديده هوية الأندلسي، ومكانة العالم في الأندلس. وقد أفرد القيسي دراسته للرسالة ببحث مستقل، نشره تحت عنوان (ابن حزم مفهرس الأندلس ومداحها_ دراسة نقدية في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها)، في مجلة (راية مؤتة)، الصادرة عن جامعة مؤتة، الأردن، المجلد ١٣، العدد٢، سنة ١٩٩٤م، في الصفحات (٢٥-٢٩)، والجديد في هذا البحث هو إشارته إلى بعض أعلام الثقافة الأندلسية الذين ضرب بهم ابن حزم المثل بالمعرفة، والشهرة وحسن الأثر، أمثال ابن بقي، والقالي وأحمد بن قزح، مقتبسًا كلام ابن حزم حولهم.

رابعًا: دراسة نزار قبيلات وآخرينِ، المعنونة (رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية)، وهي بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٠، العدد ٨، لسنة ٢٠١٣م، في الصفحات (٥٦-٨٥)، حيث عرفت بابن حزم، وبشيوخه وبتلاميذه، وبأسباب كتابته الرسالة، وبأهميتها، وبأبرز الآراء النقدية حولها، ثم عالجت البناء اللغوي فيها، كمستويات الأفعال والجمل، وأساليب الإنشاء.

ويمكن القول إن هذه الدراسات تنقسم إلى قسمين: الأول تحقيقي، ويتمثل بدراستي إحسان عباس، حيث أوردها محققة في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي_ عصر سيادة قرطبة)، من ثم ضمها إلى مجموع رسائل ابن حزم في تحقيقه لها، وقد علق عليها باقتضاب؛ لأن مناط الكتاب هو التحقيق، وليس الدراسة، أما القسم الآخر، فيتمثل بمعالجة الرسالة من خلال الإشارة إلى بعض لمحاتها الموضوعية، كما في دراسة فايز القيسي، وبحثه حولها، وبمعالجتها لغويًّا، كما في دراسة نزار قبيلات والآخرينِ، وعليه فإن دراستي هذه تنماز عن سابقاتها بأنها عالجت الرسالة معالجة موضوعية فنية موسعة، منطلقة من رؤيتها وتشكيلها، وهو ما لم يفعله الآخرون، مع الإفادة من دراساتهم في بعض المواضع.

وقد انتظمت الدراسة في مقدمة، ومدخل عرّف بابن حزم باقتضاب، وبجهوده العلمية، والدينية والأدبية، وبمكانته، من ثم أشار إلى الرسالة، ودوافع كتابتها وأهميتها، ثم تدرجت الدراسة بمبحثين: الأول تحت عنوان (الرؤية في الرسالة)، حيث فصل بأبعادها، كالبعد الذاتي، والغيري/ الجمعي والنقدي، أما الآخر، فقد جاء تحت عنوان (التشكيل الفني في الرسالة)، حيث رصد أبرز آلياته، كاللغة، والتناص وأساليب الحجاج، ودرس إسهامها في بناء النص الفني والموضوعي، وانتهت الدراسة بخاتمة، تضمنت أبرز ما توصلت إليه من نتائج.

أما منهج الدراسة، فقد جاء جامعًا لدراسة الموضوع والشكل، مرتكزًا على التحليل الموضوعي الذي يتكامل مع التحليل الفني الذي يسهم في رصد آليات التشكيل النصي ويعالجها، ويظهر دورها الفاعل في تجسيد الموضوعات والرؤى.

مدخل

يعد ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ)[(١)]_ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد_ من أكبر علماء الأندلس بوجه خاص، وعلماء الإسلام بوجه عام، وهو فقيه إمام حافظ، صاحب مذهب ديني ظاهري، إضافة إلى كونه أديبًا وشاعرًا، وله من التآليف ما تجعله مختصًّا في علوم ومعارف متنوعة، حيث "ألّف في السيرة النبوية، وفي القراءات، وفي السياسة والإمامة، وفي أنساب العرب، وفي التاريخ والحسبة، وفي الفقه وأحكامه، وفي علوم القرآن، وعلوم الحديث، والعقائد، والفلسفة، والمنطق، وفي الطب وغير ذلك".[(٢)]

وابن حزم_ على الرغم من أنه عُرف بالفقه، وبمذهبه الظاهري_ إلا أنه يعد أيضًا شاعرًا، يحتل منزلة بين شعراء الأندلس في فترة ملوك الطوائف (امتدت فترة حكمهم من ٣٩٩هـ أو٤٠٣هـ إلى ٤٨٤هـ)، وله ديوان شعري، صدر بطبعته الأولى عن دار الصحابة للتراث، بطنطا، مصر، بتحقيق صبحي رشاد عبدالكريم، سنة ١٩٩٠م، وقد تنوعت أغراضه الشعرية، بين الحديث عن نعم الله، ونبوة محمد عليه السلام، والرد على بعض الفرق الدينية، والحث على طلب الحديث، والوصف، كوصف الأيام، والأصدقاء وغير ذلك، و"لم يكن يتكلف في أشعاره الصنعة، ويؤثر البساطة على التكلف"[(٣)]، وتعكس أشعاره معارفه الواسعة الغزيرة، بشتى أنواع العلوم كالشعر، والتاريخ، والفلسفة، والديانات، والحديث، والفقه، والكلام،

---

(١) ينظر ترجمته: الحميدي، محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج٨، د.ط، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة تراثنا، المكتبة الأندلسية ٣، ١٩٦٦، ص٣٠٨_٣١١. وابن سعيد، علي بن موسى: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ج١، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١، ص٣٥٤_٣٥٧. وياقوت الحموي، شهاب الدين: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ج٤، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣، ص١٦٥٠_١٦٥٩. والذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي، ج١٨، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ص١٨٤_٢١٣.

(٢) ينظر: هيكل، أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د.ط، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥، ص٣٥٧_٣٦٠. وأبو صعيليك، محمد: الإمام ابن حزم الظاهري_ إمام أهل الأندلس، ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٥، ص٢٩_٣٠.

(٣) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٤٠٠.

واللغات، والعروض، والبلاغة وغيرها، وتجد فيه الصور المحكمة، والتشبيهات القوية الموثقة.[٤]

أما في النثر، فلعل رسائله النثرية تكشف مدى قدرته على الكتابة في مناحي الحياة كافة، سواء أكانت المعنوية أم المادية، وسواء تلك التي تخص الإنسان أو الذات، أم تلك التي تدور في فلك المجتمع، والحياة والكون، وتدل رسائله هذه على قدرته على تجويد النثر الفني الذي يتسم بالوضوح، وحسن الاستعمال ومتانة التركيب، بحيث تأتي الألفاظ بقدر المعاني، لا تزيد، ولا تنقص، وقد جمعها وحققها إحسان عباس، وصدرت بطبعتها الأولى في أربعة أجزاء، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة ١٩٨٣م، وقد اشتملت الأجزاء الأربعة على اثنتين وعشرين رسالة.

أما رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها_ محور هذه الدراسة_، فهي الرسالة الخامسة في الجزء الثاني المحقق، وقد جاءت في الصفحات (١٧١_١٨٨)، بواقع (١٨) صفحة، وعليه فإنها من الرسائل الطويلة إلى حد ما. وقد صنفها كثير من الدارسين تحت "رسائل فضائل البلدان"[٥]؛ إذ إنها تقوم في أساسها على الافتخار بعلماء بلد وأدبائه، وهو الأندلس، وأدرجها بعضهم تحت "رسائل المفاضلات والمفاخرات"[٦]، وهي تلك الرسائل الأدبية التي تقوم على أساس التفاخر، والمناظرة، والجدل، والنقاش والاحتجاج بين الشعوب والجماعات، كل يبدي محاسنه، ويفخر بصفاته، وتكشف هذه الرسائل عن براعة الكُتّاب في الاحتجاج والجدل، وتدل على تأثرهم العام بمذاهب الجدل والحوار.[٧]

وقد أسماها ابن خير في فهرسته باسم "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها"[٨]، وسُميت أحيانًا "بيان فضل الأندلس وذكر علمائها"[٩]. أما سبب كتابتها، فقد أورد المقري في "نفح الطيب"، أن الحسن بن محمد التميمي القيرواني، المعروف بابن الربيب (ت٤٣٠هـ)، كتب إلى أبي المغيرة بن حزم_ ابن عم الفقيه ابن حزم الظاهري_ رسالة[١٠]، يذكر فيها تقصير أهل الأندلس في تخليد أخبار علمائهم، ومآثر فضلائهم وسير ملوكهم، واطلع ابن حزم الظاهري على رسالة ابن الربيب بعد وفاة ابن عمه، وكتب رسالته هذه في الرد عليها، والأرجح أن رسالة ابن الربيب حفزته إلى أن

---

[٤] ينظر: ابن حزم، علي بن أحمد: الديوان، تحقيق: صبحي عبدالكريم، ط١، طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٩٩٠، المقدمة، ص٢٤_٢٨.

[٥] ينظر: ابن حزم، ابن سعيد، الشقندي: فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨، المقدمة.

[٦] ينظر: القيسي، فايز: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص٢٠١.

[٧] المرجع السابق، ص٢٠١.

[٨] ينظر: ابن خير الإشبيلي، محمد بن خير: فهرسة ابن خير الإشبيلي، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، ص١٩٤.

[٩] ينظر: عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي_ عصر سيادة قرطبة، ط٢، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩، ص٣٤٧. وقد أوردها المقري في النفح، ينظر: المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، م٣، د.ط، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨، ص١٥٨ وما بعدها.

[١٠] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م٣، ص١٥٦_١٥٨.

يضع رسالة مطولة في تاريخ الفكر الأندلسي، فجاءت هذه الرسالة.[١١]

ويذكر ابن الأبار أن ابن حزم صنع هذه الرسالة لمحمد بن عبدالله بن أحمد الفهري، يمن الدولة، صاحب البونت (من أعمال بلنسية)، وأطال الثناء عليه، وعلى سلفه في الرسالة[١٢]، وعليه فإنها أُلفت في الفترة الواقعة بين (٤٢١_٤٣٤هـ)، وهي "الفترة التي تولى فيها يمن الدولة الحكم".[١٣]

وتأسيسًا على ما سبق، يمكن القول إن الذي حرك ابن حزم لكتابة الرسالة سببان:

١. سبب ذاتي: يتمثل بحبه الانتصاف لبلده من ابن الربيب، بعد أن كان قد وقف على رسالته وقرأها.

٢. سبب رسمي: يتمثل بما أظهره الرئيس الأجل أبو عبدالله محمد بن أحمد الفهري "يمن الدولة"، صاحب قلعة البونت من حرص على أن يُرد على ابن الربيب، فطلب من ابن حزم أن يصوغ رسالة في الرد عليه، وأن يبين له ما لعله قد رآه فنسيه، أو بعد عنه فخفيه. وهذا يكشف عن أن الأمراء كانوا مهتمين بالهوية الأندلسية، ومعنيين بالدفاع عنها، وبيان جهود أهلها، وقد كان ذلك يمثل سياسة أدبية لأغلب ملوك الطوائف وأمرائهم.

ويرى صلاح الدين المنجد أن أهمية الرسالة تكمن في جوانب عدة، أهمها:[١٤]

١. أنها تعد تأريخًا لسيرة ابن حزم، فقد بينت في بعض جوانبها تنقلاته ورحلاته في الأندلس، وأشارت إلى معاصريه، وأقرانه وشيوخه، كما ألقت مزيدًا من الضوء على شخصيته وميوله.

٢. أنها تؤرخ للفكر الأندلسي، بما تضمنه من تراث أبدعه أهل الأندلس، حتى أيام ابن حزم.

إن الرسالة جزء من التاريخ الحضاري للأندلس، وقد كانت رائدة فيها لفن المفاخرات، وهو فن أبرزه شعور الأندلسيين بالحب لوطنهم الذي تحيط به التحديات والاضطرابات من أكثر من جهة[١٥]، وتحتل الرسالة مكانة كبيرة في الفكر الأندلسي؛ لأن ابن حزم وضع فيها سجلًا حافلًا بمصادر التراث الأندلسي[١٦]، إلى حد أن (شارل بلَّا) أطلق على ترجمته لها، وما أضاف إليها من دراسة عنوان "ابن حزم مفهرس الأندلس ومداحها"[١٧]، وعليه يمكن القول إن الرسالة تعد وثيقة مهمة، ومستندًا تاريخيًّا، ومرجعًا علميًّا يتضمن الكثير من أخبار الأندلس المعرفية، والعلمية والأدبية، ويرصد أسماء عدد ليس قليلًا من المؤلفين، وأسماء مصنفاتهم وكتبهم، إضافة إلى تفنيد هذه

(١١) ينظر: ابن حزم، علي بن أحمد: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ج٢، ط٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧، المقدمة، ص٣٥_٣٦.

(١٢) ينظر: ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، ج١، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥، ص٣١٣.

(١٣) ينظر: لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبدالله السلماني: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٢، بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦، ص٢٠٨.

(١٤) ينظر: فضائل الأندلس وأهلها، ص٣_٥.

(١٥) ينظر: عويس، عبدالحليم: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط٢، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٨، ص٢٣٩.

(١٦) أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٢١٠.

(١٧) ينظر: بويحيى، الشاذلي: مساهمة الأفارقة في الحياة الثقافية بالأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، حوليات الجامعة التونسية، ع٢٠، تونس: الجامعة التونسية، ١٩٨١، ص٣٨.

المؤلفات وفق تخصصاتها المعرفية الدقيقة، فضلًا عن أنها تتضمن بعض الآراء النقدية المهمة في الشعر، والشعراء وشتى الفنون، والمقارنة بين النتاج الأندلسي والمشرقي في بعض الجوانب الفكرية، والعلمية وغير ذلك.

المبحث الأول: الرؤية في الرسالة

الرؤية مصطلح حديث، يرتبط بـ"وجهة النظر التي قدمها الكاتب أو المؤلف، ويعكس من خلالها المواقف والأحداث"[١٨]، ويعبر من خلالها عن العالم الذي يحياه، بما يحمله ويتضمنه من خبرات، وتجارب، وخيالات تشكل التجربة الكلية لذلك الكاتب، تلك التجربة التي تتمحور حول الذات، والآخر، والأمكنة، والأزمنة وغيرها.

وتتمثل الرؤية في القضايا الذاتية أو الموضوعية التي يعكسها النص، وتمثل موقف صاحبه تجاه ما يحيط به، ونظرته إلى ذاته، وإلى غيره، وإلى الأشياء ومقومات الحياة؛ لذا فإنها تعبر عن "النظرة الخاصة للعقل الخالص للمبدع، وهي التفرد، والذاتية، والابتكار والإعجاز"[١٩]، وقد عرّفها (كولردج)، ووصفها بأنها "إدراك تؤيده ملكة عقلية عليا".[٢٠]

وتعد الرؤية أداة مهمة يتوسل بها المبدع؛ لتعينه على التعبير عن مواقفه، ما يساعده في "تقديم نظرة شاملة، وموقف من الحياة، يفسر الماضي، ويشمل المستقبل"[٢١]، وتسهم في "تقريب المعنى الذي أراده إلى الإدراك الواقعي"[٢٢]، فتكون بذلك وسيلة مهمة، وعنصرًا فاعلًا من عناصر النص؛ إذ بها يتجسد المعنى والمقصد، وتنعكس الأفكار والحقائق، ويمكن القول إن أي نص بلا رؤية، لا يعدّ نصًّا إبداعيًّا؛ لكون الرؤية "ملازمة لكل خطاب"[٢٣]، وتنكشف من خلالها علاقة "السارد أو المبدع بالعالم"[٢٤]، وتكشف عن إدراك الأديب لعلاقات الواقع[٢٥]، وتسهم في تحقق تماسك النص، وإكسابه القدرة على التعبير والإيحاء اللذين يجعلان المتلقي ينجذب نحوه، ويتأمله، ويتفاعل معه.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن الرؤية ما هي إلا انعكاسات، تنبثق من ذات المبدع، وتعبر عن تجاربه التي مر بها أو عاينها، ويحاول تمثيلها في نصه، دون عزلها عن الواقع؛ لأنها تمثل حلقة الوصل بينه وبين ذلك الواقع، وكذلك بينه وبين ذاته، فتكون بهذا هي جوهر النص، ويتشكل الخطاب من خلالها، إذ يغدو قابلًا للتفسير، والتأويل والاستنباط.

والناظر في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها، يدرك أنها تعكس مجموعة من الرؤى الفكرية، والمعرفية المرتبطة بأبعاد واقعية، وأخرى

---

(١٨) ينظر: جيرالد، برنس: قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣، ص٢١٠.
(١٩) الفارس، محمد: الرؤيا الإبداعية في شعر صلاح عبدالصبور، د.ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص١٠.
(٢٠) ينظر: صبحي، محيي الدين: الرؤيا في شعر البياتي، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧، ص٢١. نقلًا عن: موسوعة برنستون للشعر والنظريات الشعرية.
(٢١) المرجع السابق، ص٢٢.
(٢٢) بدر، عبدالمحسن: نجيب محفوظ_ الرؤية والأداة، د.ط، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٨، ص١٧.
(٢٣) ينظر: تودوروف، تزفيطان: مفاهيم سردية، ترجمة: عبدالرحمن مزيان، ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٥، ص١٢٩.
(٢٤) ينظر: المرجع السابق، ص١٢٩_ ١٣٠.
(٢٥) ينظر: نجيب محفوظ_ الرؤية والأداة، ص١٥_ ١٦.

تأويلية، ولعل أبرز هذه الأبعاد يتمثل بالبعد الذاتي، والغيري/ الجمعي، والنقدي.

أولًا: البعد الذاتي

ويقصد به تعبير الكاتب عن ذاته وسماتها، ومحطات حياته، ومشاعره التي يمكن استنباطها عن طريق واقعيته، أو من خلال التأويل، وتنعكس هذه الذاتية من خلال "رؤيته الفردية تجاه نفسه والعالم، وإسقاط شعوره ووعيه على الأحداث والأشياء، وإعادة تقديمها عبر كشف ذاتي خالص"[٢٦]، متوسلًا بأسلوب يتعدى "التعبير المجرد المحايد عن التجارب، إلى استبطان الذات، واستظهار طبقاتها".[٢٧]

ويدرك المتعمق في نص الرسالة، أن ابن حزم حاول استظهار عدد من الأبعاد الذاتية التي تعكس شخصيته وسماتها، وربما تصور بعضًا من محطات حياته، وجوانب شخصيته، ما يجعلها تتشابك إلى حد ما مع فن السيرة الذاتية؛ إذ إن ابن حزم اقترب من هذا الفن في محاولته تصوير بعض من ذاته، ما يمكننا من القول إن هنالك تداخلًا بين الرسالة وفن السيرة الذاتية. ولعل أبرز المحاور التي تمثل ذاتيته تتمحور حول الآتي:

١. السبب الرئيس لكتابة الرسالة

وهو كما قلنا سابقًا سبب ذاتي، يتمثل بحبه وبرغبته الشديدة للانتصاف لبلده من ابن الربيب الذي عاب على أهل الأندلس تقصيرهم في تخليد مآثر بلدهم وعلمائها، وهذا يؤكد سمة مهمة في شخصية ابن حزم، تتمثل باعتزازه ببلده، ووقوفه في وجه كل إنسان يحاول الحط من شأنها، ومن شأن علمائها وأدبائها، فهو معتز بأندلسيته، يفخر بفضلها، وبأهلها، وبمدنها وبما فيها من سمات الحضارة والتقدم هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو معتز بعلمائها وبفضلائها؛ إذ أورد عددًا كبيرًا من أسمائهم في الرسالة، وهم الذين صنفوا بمختلف فروع المعرفة في عصره، وأجادوا في ذلك.

إن ذاتية ابن حزم تتكشف منذ بداية الرسالة، أو منذ الشروع بكتابتها، وربما قبل ذلك، إذ هو يعتز بوطنه، وهذا أمر مباح للجميع، فلا بد للإنسان من الاعتزاز ببلده وبموطنه، دون أن ينتقص من شأن البلدان الأخرى. ولعل هذه الرسالة تمثل ردة فعل شديدة على رسالة ابن الربيب، وثورة ذاتية في نفسية ابن حزم الذي لم يجد وسيلة للتعبير عن تلك الثورة سوى قلمه وكتابته الرد، وهو بهذا يعامل المثل بالمثل، فضلًا عن أن الرسالة تمثل نتيجة حتمية لسببها، فابن حزم الكاتب المعروف، ليس من الممكن له أن يظل صامتًا أمام رسالة ابن الربيب، وما تضمنته من ذم واستهزاء بالأندلس وبأهلها، وتعد رسالته ردًّا قويًّا وشافيًا على ابن الربيب، إضافة إلى أنها جاءت مقنعة وشاملة وافية إلى حد كبير؛ لما تضمنته من أفكار وأحكام تنقض حكم ابن الربيب وأقواله.

٢. ملامح شخصية ابن حزم

كما قلنا سابقًا إن أبرز ملمح في شخصية ابن حزم، يتمثل بأندلسيته واعتزازه بها، ثم يبدو من خلال

[٢٦] ينظر: الصكر، حاتم: الذات الممحوة بالكتابة، مجلة راية مؤتة، ع٢، الأردن: جامعة مؤتة، ١٩٩٣، ص١٢٥.

[٢٧] عبيد، محمد صابر: تمظهرات التشكل السيرذاتي، ط١، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥، ص١٨.

الرسالة ملمح آخر، يرتبط بشخصيته وبأهم جوانبها وسماتها، يتمثل بالتزامه أدب الحوار، واحترامه وجهة نظر الآخرين، ونجده يفتتح الرسالة بعبارة "أما بعد يا أخي يا أبا بكر، سلام عليك"[٢٨] التي توحي بتلطفه في الحوار، وعلى الرغم من أنه يخاطب صديقه، إلا أن كلمة (أخي) توحي بمدى الحب الذي في نفسه لهذا الصديق، إذ لم يقل (صديقي)؛ لكون الأخوة رابطة أشد من الصداقة وأقوى، إن هذا التلطف الموحي بالتحبب، يعكس بالضرورة سمة مهمة من سمات ابن حزم، ترتبط بأسلوبه في الحوار، القائم على احترامه الآخرين، وتقربه منهم بود ومحبة.

ونجده في الوقت ذاته يحترم ابن الربيب الذي وجه سهام النقد للأندلسيين وابن حزم منهم، إلا أنه لم يلجأ إلى أسلوب التجريح في الرد عليه، فالمتأمل في الرسالة لا يجد فيها كلمة أو عبارة واحدة توحي بذلك، بل على العكس فهو يحترم رأي ابن الربيب، ويرد عليه بأسلوب علمي، أساسه الأدلة والبراهين، مع أسلوب الحوار الملتزم، البعيد عن الألفاظ الجارحة والنقد اللاذع، حتى أنه لم يصرح باسم ابن الربيب، على الرغم من انتقاده الأندلسيين، إلا أن ابن حزم ربما لجأ إلى عدم التصريح باسمه، حتى لا يجعله صيدًا لسهام كتّاب الأندلس وأقلامهم، يقول ابن حزم عن رسالة ابن الربيب، وقد عثر عليها واطلع: "لمحت عيني في درج فتأملته، فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصاقبينا في الدار، أهل إفريقية، ثم ممن ضمته حضرة قيروانهم، إلى رجل أندلسي لم يعينه باسمه"[٢٩]، كأنه يلجأ إلى التمويه لا التصريح، دون أن يخصص شخصًا بعينه، وربما أنه_أيضًا_ لا يهمه الكاتب، وإنما المكتوب، وكان همه الرد على مضمونه، وليس على صاحبه وتجريحه، بل إنه أبدى احترامًا واضحًا له، ولأهل إفريقيا بوجه عام، وللقيروان بوجه خاص، وقد تمثل ذلك من خلال قوله (مصاقبينا)؛ إذ تدل على أنه يعد نفسه عربيًّا منتميًا إلى كل بلد عربي، ومنها إفريقيا والقيروان، حيث استخدم (ياء المتكلم) المتبوعة بـ(نا) الجماعة، وهذا يدل على أنه نسب نفسه إلى تلك المصاقب والأقطار، ثم إنه جعل القيروان (حضرة)، دلالة على مكانتها السياسية، والثقافية والأدبية، فهي من حواضر العلم والأدب في ذلك الزمان.

والتزم ابن حزم أدب الحوار، والرد والنقاش بأسلوب بعيد عن ألفاظ الذم والقدح، ولجأ إلى الألفاظ التي قد توحي بتبرير لوم ابن الربيب للأندلسيين، محاولًا التماس العذر له بالظن، يقول: "فقد جُمع ما ظنه الظان غير مجموع، وأُلفت عندنا تآليف في غاية الحسن"[٣٠]، وقوله (ما ظنه الظان غير مجموع) يوحي بأن ابن الربيب أُخذ بالظن، دون أن يتأكد، ربما لأنه لم يطلع اطلاعًا كافيًا على مآثر الأندلسيين وتصانيفهم، وتسرع بالحكم عليهم، دون حجة أو دليل، وعلى الرغم من أن الظن أحيانًا فيه إثم، لكنه قد يُبرر في أحيان أخرى، بقلة الاطلاع أو السماع، فيحتاج صاحبه إلى الإقناع، والإتيان بالبراهين والأدلة إلى أن

(٢٨) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧١.
(٢٩) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧١.
(٣٠) المصدر السابق، ص١٧٨.

يزول ظنه، وهذا ما فعله ابن حزم، حيث يقول: "ولا بدّ من إقامة الدليل على ما أشرت إليه ها هنا، إذ مرادنا أن تأتي منه بالمطلب"[٣١]، فالهدف ليس شخص ابن الربيب، إنما الرد على مظانه بالدليل والبرهان، حتى يتحقق الهدف المرجو.

ولا يقتصر الأمر عنده على احترام أقطار إفريقيا والمغرب، بل هو يحترم حواضر المشرق وفضائلها، يقول: "وهذه بغداد حاضرة الدنيا، ومعدن كل فضيلة، والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف، والتدقيق في تصريف العلوم، ورقة الأخلاق، والنباهة، والذكاء، وحدة الأفكار ونفاذ الخواطر، وهذه البصرة، وهي عين المعمور"[٣٢]، وهذا يكشف أن شخصيته لا تتوقف عند اعتزازه بمصنفات الأندلس، وحواضرها وعلمائها، إنما تتعدى إلى افتخاره بمدن المشرق، كبغداد والبصرة اللتين تعدان من أمهات الحواضر، وجلائل البلدان ومتسعات الأعمال، ونلمح من خلال ذلك "شعور ابن حزم بأندلسيته، ومباهاته ببلده الذي يعد حضارة العراق مثله الأعلى، والأنموذج الذي يحتذى، بل إن لمراكز الحضارة العربية الإسلامية في المشرق مكانة عظيمة في نفسه"[٣٣]، ما يدلل على احترامه الآخرين واعترافه بفضلهم، وعدم تحيزه لبلده، وهذه مأثرة من مآثره، وسمة مهمة من سماته.

٣. الشعور بالاغتراب

يمكن أن نلمح شيئًا آخر في الرسالة، يرتبط بذاتية ابن حزم، هو شعوره بالاغتراب في وطنه، على الرغم من حبه الشديد له، وهذا يظهر في حديثه عن مكانة العالم في الأندلس، إذ يقول: "... ولا سيما أندلسنا، فإنها خُصّت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم، الماهر منهم، واستقلالهم كثير ما يأتي به، واستهجانهم حسناته، وتتبعهم سقطاته وعثراته، وأكثر ذلك مدة حياته، بأضعاف ما في سائر البلاد"[٣٤]، إنه يشير إلى مكانة العالم في بلده، وربما أنه يسقط ذلك على نفسه، إذ يتحدث عن تنكر الأندلسيين لمن نبغ منهم في العلوم، وما يناله من غمط حقوقه، وجحود علمه، وطمس فضله.[٣٥]

إن ظاهرة التحاسد والتنافس كانت منتشرة بين علماء الأندلس_ شأنهم في هذا شأن غيرهم في مختلف البقاع_ ما ترك أثرًا سلبيًّا في همم المؤلفين والمفكرين، ثم إن الطريق للوصول إلى الشهرة هي التعلق بالسلطان، فالعالم أو المفكر أو الأديب "لا يكون سابقًا مبرزًا إلا إذا تعلق بالسلطان"[٣٦]، ولا يحظى بمنزلة رفيعة، وشهرة كبيرة إلا إذا وجد حظوة لدى ذلك السلطان، ونتيجة لذلك يقبل المؤلفون على إنتاجه، وفي الحقيقة أن ابن حزم يميل إلى التعميم، ويقيس على ما لقيه هو من جحود الفضل وتقليل الشأن، فقد عانى من منافسة العلماء وحسدهم له، وتأليب السلاطين عليه، وهو هنا "يكشف عمّا يغمر

---

[٣١] المصدر السابق، ص١٧٥.
[٣٢] المصدر السابق، ص١٧٦.
[٣٣] أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٢١٣.
[٣٤] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٧.
[٣٥] القيسي، فايز: ابن حزم مفهرس الأندلس ومدّاحها_ دراسة نقدية في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها، مجلة راية مؤتة، مج٣، ع٢، الأردن: جامعة مؤتة، ١٩٩٤، ص٢٧.
[٣٦] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٧_١٧٨.

نفسه من مرارة، وألم، وقلق، وضيق واغتراب؛ لما يلاقيه في هذه البلاد التي طالما أحبها، وأخلص لها، ودافع عنها".[٣٧]

ويمكن القول إن ذاتية ابن حزم كانت واضحة في رسالته، بل إن جانبًا من أهميتها يكمن وراء أنها تأريخ لسيرته، فقد بينت في بعض أجزائها رحلاته في الأندلس، وتنقله بين مدنها، وأشارت إلى أسماء كثير من أصدقائه، وشيوخه، وممن عاصره من العلماء، ويُلمح فيها بعضًا من ميوله، وصفاته المعنوية والأخلاقية الدالة على قدرته على الجدل والنقاش المرتبطين بالحجج والأدلة، والتزامه آداب الحوار، واحترامه آراء الآخرين، وتقديره فضل علماء حواضر البلدان العربية والإسلامية، وإنجازات علمائها، وفقهائها، وأدبائها ومؤرخيها، فضلًا عن شعوره بالاغتراب في وطنه، وعتبه المبطن على أهلها؛ لعدم تقديرهم له ولغيره من العلماء، ونقده غير المباشر لأولئك العلماء الذين يتقربون من السلاطين، حتى ينالوا الشهرة والكسب، فالعلم عنده لا يقاس بالمنصب السياسي أو بالجاه أو بالمال، وإنما بالجد فيه، وإفادته الناس.

ثانيًا: البعد الغيري/ الجمعي

ويقصد به تلك الرؤى التي قدمها ابن حزم في نظرته إلى الغير، سواء أكان ذلك الغير الأندلسيين أم غيرهم، وتتسم نظرته بالعدالة والموضوعية؛ إذ إنه لا ينتقص من الآخرين ومن جهودهم، بل يشير إلى ذلك باحترام، وبحيادية وبموضوعية، معترفًا بفضلهم. وقد يكون ذلك الغير مرتبطًا بشخص ما، أو بمجموعة من الناس أو المجتمع أو الأمة، وأبرز ملامح البعد الغيري في الرسالة تتمثل بما يأتي:

١. الإشادة بالأشخاص من ذوي التجربة والعلم، والاعتراف بفضلهم

ويتمثل هذا بما أورده ابن حزم من ثناء على صاحب البونت، أبي عبدالله بن قاسم، حيث قال: "الرئيس الأجل الشريف قديمه وحسبه، الرفيع حديثه ومكتسبه، الذي أجلّه عن كل خطة يشركه فيها من لا توازي قومته نومته، ولا ينال حُضره هويناه، ..."[٣٨]، وهذا الثناء والمديح ليس هدفه التقرب من السلطان ونيل عطاياه، إنما جاء لأسباب علمية وأدبية، تتمثل باهتمام هذا السلطان بالعلم وبالعلماء، إذ له مجلس أدبي حافل بأصناف الآداب، وأنواع العلوم والمعارف، كان يعقده في بلاطه، "... ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، والمشهد الآهل بأنواع العلوم، والقصر المعمور بأنواع الفضائل، والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من دقيق المعاني وجليل المعالي"[٣٩]، ثم يذكر أنه كان "حريصًا على أن يجاوب هذا المخاطب_ يقصد ابن الربيب_، وراغبًا

[٣٧] أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٢١٢_٢١٣.

[٣٨] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.

[٣٩] المصدر السابق، ص١٧٢.

في أن يبين له ما لعله رآه فنسي، أو بعد عنه فخفي".[٤٠]

إن ابن حزم لم يكن متملقًا للسلطان، ولم يهدف إلى كسب عطاياه، إنما هدف إلى تبيان فضائله واهتماماته على أساس علمي، فهو يحترمه، ويقر بفضله؛ لكونه يرعى العلم والعلماء، ومهتمًا بالدفاع عن بلده (الأندلس)، وراغبًا في الرد على ابن الربيب؛ لذا فقد عده ابن حزم حالة نادرة بين بقية السلاطين، إذ هو الوحيد منهم الذي تعنيه قضية الانتصاف للأندلس، وإظهار منجزاتها الحضارية، والثقافية، والعلمية والأدبية لأولئك الذين ربما عرفوها فنسوا، أو خفيت عنهم، أمثال ابن الربيب.

لقد جسد ابن حزم في حديثه عن هذا الرجل اعترافه بفضله، وعدم إنكاره إنجازاته العلمية، المتمثلة بالعناية بالعلم وأهله، وتصدره للدفاع عن بلده وعلومها، كما يوحي بنظرته إلى السلاطين، فهو لا يهتم بالتقرب إليهم، إلا إذا كانوا من أنصار العلماء، مشجعين لهم، مدافعين عن جهودهم، وبهذا فإن إشادته بالسلطان ومدحه له لا ترتبط بجاه أو بمال، إنما ترتبط بالعلم وبالثقافة، وبمدى اهتمام ذلك السلطان بهما.

إن الظاهرة البارزة في الرسالة تتمثل بإشادته بالعلماء وبالأدباء في مختلف المعارف والفنون، وينطلق في تلك الإشادة من مبدأ علمي معرفي، إذ هو لا يحكم على الأشخاص إلا من خلال منتجاتهم وإنجازاتهم، مبتعدًا عن الشخصنة، وعلاقات الصداقة أو العداوة، بل إنه في كثير من الأحيان، وبصرف النظر إن كان يعرف الرجل العالم أو لا يعرفه، كان يصفه بـ(الصاحب)، وهذا من باب احترام علمه وثقافته، ومن ذلك قوله: "ولصاحبنا أبي عمر بن عبدالبر كتب لا مثل لها"[٤١]، وقوله: "ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف"[٤٢]، أو يصفه بكلمة (أستاذ) مقدرًا فضله، محترمًا مكانته العلمية، ومن ذلك قوله: "وأما رسائل أستاذنا أبي عبدالله محمد بن الحسن المذحجي، فمشهورة"[٤٣]، وأحيانًا يصفه بالشيخ، احترامًا له ولمنزلته الدينية والعلمية، كقوله في تصانيف أحكام القرآن: "ومنها كتاب شيخنا القاضي أبي الوليد بن محمد الفرضي"[٤٤]، حيث استثمر كلمة (شيخنا) ليدلل على مكانة هذا العالم الفقهية، ويصور احترامه له، واعترافه بفضله، والتزامه الأدب أمام الشيوخ والفقهاء.

ويقر أحيانًا ببلاغة الأديب وبفصاحته، ويجعله من البلغاء الذين يحب صحبتهم، كقوله عن ابن شهيد: "ولنا من البلغاء أحمد بن عبدالملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا"[٤٥]، إنه يثني على العلماء والأدباء نظرًا لتفوقهم في اختصاصاتهم العلمية، إذ تفردوا بها وتميزوا، يقول عن الرازي: "فأما مآثر بلدنا، فقد ألّف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي كتبًا جمة"[٤٦]، حيث جعله عالمًا في التاريخ، ووصفه بكلمة

---

(٤٠) المصدر السابق، ص١٧٢.
(٤١) المصدر السابق، ص١٨٠.
(٤٢) المصدر السابق، ص١٧٩.
(٤٣) المصدر السابق، ص١٨٥.
(٤٤) المصدر السابق، ص١٨٠.
(٤٥) المصدر السابق، ص١٨٨.
(٤٦) المصدر السابق، ص١٧٢_١٧٣.

(التاريخي)، ونسب إليه الفضل في كتابة أجزاء كبيرة من تاريخ الأندلس.

إن ابن حزم ينطلق في إشادته بالآخرين من العلماء والأدباء من مبدأ فضلهم الكبير في تخصصاتهم، وأهميتها في إغناء الحضارة والفكر، وليس من منطلق التملق والتقرب إليهم، بل هو يقدر فيهم علمهم الذين جعلهم متفردين بين أقرانهم، ولهم فضل في الحضارة العربية والإسلامية.

٢. الاعتزاز بالأندلس وبالأندلسيين

يتجلى هذا الأمر من خلال حديث ابن حزم عن الشخصية الأندلسية التي تتسم بالعراقة، وتمتد جذورها إلى المشارقة، وهذا يبدو من خلال تحديده مفهوم الأندلسي، حينما شمل المشارقة الذين هاجروا إلى الأندلس، واستقروا فيها؛ لكونه رغب في أن لا يحرم الأندلسيين من النتاج الثقافي للمشارقة، مثل (القالي وزرياب) وغيرهما، وهو بذلك يحدد مفهوم الثقافة الأندلسية، بأنها الثقافة التي أنتجها الأندلسيون الذين ولدوا في الأندلس، والمشارقة الذين هاجروا إليها، وأراد من ذلك أن يمنح الثقافة سمة العراقة والأصالة، فهي امتداد للثقافة العربية المشرقية، وكانت قد بدأت في الأندلس منذ الفتح العربي الإسلامي، ويكون بهذا قد حال دون أن يحرم الأندلسيون من جهود المشارقة الذين هاجروا إلى بلدهم، يقول: "فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحقُّ به"[٤٧]، ولعله في هذا التحديد الدقيق للشخصية الأندلسية يلتزم برأي الجماعة من المؤرخين والأئمة السابقين، فهم "متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها، ولم يرحل عنها، رحيل تركٍ لسكناها إلى أن مات".[٤٨]

لقد كتب ابن حزم رسالته أصلًا رغبة منه في الانتصاف لبلده، والدفاع عن جهود أبنائها، وهذا يصور أندلسيته بوضوح، واعتزازه ببلده وبأهلها؛ لذا وجدناه "يسرد فضائلها ومآثرها، ويحدثنا عمّا أُلف فيها، ويحدد موقع الأندلسيين في الأقاليم الإسلامية، ويبين أثر طبيعة الإقليم في ذكاء الأندلسيين ونبوغهم"[٤٩]، يقول: "وأما في قسم الأقاليم فإن قرطبة مسقط رؤوسنا ومعقُّ[٥٠] تمائمنا، مع سُرَّ من رأى في إقليم واحد، فلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا، وإن كانت الأنوار لا تأتينا إلا مُغَرّبِة عن مطالعها عن الجزء المعمور"[٥١]، إنه يؤكد فخره واعتزازه بمدن الأندلس، ويربطها بمدن مشرقية، لها مكانة في التاريخ والحضارة، وينزع إلى جعلها بمنزلة واحدة، فضلًا عن أنه يعتز بأهل هذه المدن الأندلسية، ويصفهم بالذكاء، والفطنة والقدرة على استيعاب الفنون، والعلوم والمعارف كافة.

وتجلى ذلك من خلال إشادته بفضل بلاده، ومدى إسهامها ورجالها في بناء الفكر الإسلامي، ولكي يؤكد ذلك يبدأ بتعداد تآليف الأندلسيين ومصنفاتهم بمختلف فروع المعرفة، من تاريخ، وأخبار، وفقه، ولغة، وشعر،

---

[٤٧] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٦.
[٤٨] المصدر السابق، ص١٧٥.
[٤٩] أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٢١٠_٢١١.
[٥٠] معق: يقال للصبي إذا نشأ مع حي حتى شب وقوي فيهم: عقت تميمته في بني فلان، والأصل في ذلك أن الصبي ما دام طفلًا تعلق عليه تمائم تعوذه من العين. "اللسان: عقق".
[٥١] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٤.

وطب، وفلسفة، وعدد، وهندسة، وحديث، وعلم كلام وغيره[٥٢]، ولم يورد من تلك التآليف إلا المستحقة الذكر، وهذا "يدل على سعة ثقافة ابن حزم وعمقها، وعلى اطلاعه الواسع، ومقدرته على تقويم المصنفات والتآليف ونقدها".[٥٣]

ويتمثل اعتزازه بالأندلسيين من خلال تصويره قدرتهم على استيعاب علوم المشارقة وآدابهم، ففي النثر الفني استطاعوا مجاراة المشارقة، وقد "استطاع ابن شهيد الأندلسي أن يستوعب ويجمع بين مدرستي الجاحظ وسهل بن هارون، بل إنه تفوق عليهما في بعض الجوانب على حد رأي ابن حزم"[٥٤]، إضافة إلى أن علماء هذه البلاد (الأندلس) على اختلاف علومهم ومعارفهم، جاروا علماء المشرق، ووجد بينهم من كان شبيهًا لهم من حيث العلم، فإن "كان في المشرق علماء في الحديث كالبخاري ومسلم، فهنا في الأندلس بقي بن مخلد، وإن كان في اللغة عالم مشرقي كالمبرد، ففي الأندلس محمد الرياحي ومحمد بن عاصم"[٥٥]، وهكذا يواصل ابن حزم افتخاره بعلماء الأندلس، والاعتراف بفضلهم، من خلال مقارنتهم بأقرانهم من المشارقة، ما يوحي أيضًا باعترافه بفضل أولئك المشارقة والإشادة بهم.

ويظهر اعتزازه أيضًا من خلال دفاعه عن الهوية الأندلسية، وهو هدفه الرئيس في الرسالة، وهذا هدف مشروع؛ نظرًا لما عرفته الأندلس من ازدهار علمي في القرن الخامس الهجري، ففيها من "التآليف ما إن طُلب مثلها بفارس، والأهواز، وديار مضر، وديار ربيعة، واليمن والشام، أعوز وجود ذلك"[٥٦]؛ لذا سعى ابن حزم إلى إبراز هذه الهوية، من خلال حديثه عن دور أهل الأندلس في ازدهار الثقافة العربية، فلجأ إلى الحديث عن مدنها كقرطبة وغيرها، مشيرًا إلى ذكاء أهلها وسعة اطلاعهم، وتنوع العلوم فيها، كالتاريخ، والشعر، والفقه، واللغة وغير ذلك، وعبر بذلك عن اقتناعه بتفوق الثقافة الأندلسية، وتطور العلوم فيها، على الرغم من العراقيل التي تواجه العلماء، وتحول دون تفوقهم أحيانًا.

٣. النظرة إلى المشرق

تدخل نظرة ابن حزم إلى المشرق وآراؤه حوله، وحول علمائه في إطار البعد الغيري المتجسد في الرسالة، أو النظرة إلى الآخر، وقد كانت هذه النظرة عادلة وموضوعية، وكان ابن حزم منصفًا إلى حد كبير، وعلى الرغم من "أن له أحكام قاطعة في كثير من القضايا، ولا سيما الدينية والفقهية التي هي وليدة الثقة عنده، ولكنه في الوقت ذاته يتمتع بالموضوعية، والحياد والإنصاف، ولا سيما في الرد على خصومه، وربما أن هذا منبثق من تدينه الشديد، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الموضوعية لا تتفق عنده مع المجاملة، والتحيز والظلم، خاصة في أمور العلم والدين".[٥٧]

[٥٢] ينظر: المصدر السابق، ص١٧٨_١٨٦.
[٥٣] أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٢١٣.
[٥٤] ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٨.
[٥٥] ينظر: المصدر السابق، ص١٨٧.
[٥٦] المصدر السابق، ص١٨٧.
[٥٧] ينظر: عويس، عبدالحليم: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص١٧٦.

ويمكن القول إن رسالته تتعلق بعلاقة الإنسان بالإنسان، وهي علاقة بين إنسان الأندلس، وإنسان المشرق، علاقة قوامها السعي وراء إثبات الذات؛ لذا فإنه وضع أساسًا جديدًا للتفاخر بين الشعوب والبشر، يتمثل بالعلم الذي يعد قاعدة لذلك التفاخر، وموئلًا للتطور الحضاري، وعليه فإن الإنسان يتفوق بعلمه على غيره، مهما كان أصله، وعرقه ومكان سكناه، سواء أكان مشرقيًّا أم أندلسيًّا، فالمقياس في المفاضلة هو العلم؛ لذلك فإن ابن حزم "يرى أن العلم وحده هو ينبوع الفضائل، وأن العلماء وحدهم هم الذين يحقّ للبلدان أن تتفاضل بهم".[٥٨]

وتتمثل نظرته العادلة إلى المشرق من خلال موقفه من الثقافة المشرقية، حيث كشف عن تقديره وإعجابه بها وبمراكزها الحضارية، مثل بغداد التي عدها "حاضرة الدنيا، ومعدن كل فضيلة" [٥٩]، والبصرة التي كانت مركز إشعاع ثقافي إسلامي، فهي "عين المعمور"[٦٠]، وهو يعد هذه الثقافة نموذجًا أعلى يجب أن يحتذى، ويكون بذلك قد رسم صورة لتلك الثقافة، تنمّ عن افتتانه بها، وتجلى ذلك من خلال حديثه عن بعض المؤلفين، وبعض المصنفات التي نسج على منوالها الأندلسيون أو عارضوها، مثل كتاب (النوادر) لأبي علي القالي_الذي عدّه أندلسيًّا_، حيث قارن بينه وبين كتاب (الكامل) للمبرد، وجعله مباريًّا له، فإن تفوق "الكامل بالنحو والخبر، فقد تفوق النوادر باللغة والشعر"[٦١]، وقارن أيضًا بين كتاب (الحدائق) لأحمد بن فرج الأندلسي الذي عارض فيه كتاب (الزهرة) لأبي بكر بن داود، ورأى أن (الحدائق) فريد في معناه، إذ لم يرد فيه لغير أندلسي شيئًا، ويتسم بالإجادة في المعاني وحسن الاختيار، كأنه يلمح إلى تفوقه على كتاب (الزهرة).[٦٢]

وسار ابن حزم هكذا على المنوال نفسه، مشيدًا بالمصنفات المشرقية، معترفًا بفضلها وبفضل أصحابها في إغناء العلم والفكر الحضاري، وعلى الرغم من هذا نجده أحيانًا يتخذ موقفًا نقديًّا من تلك الثقافة المشرقية، ويعود ذلك إلى روحه النقدية، وميله إلى النقاش، والمواجهة والتحدي؛ لذلك رد على الاتهام القائل بأن الأندلسيين قد أهملوا في تخليد مآثر بلدهم، بأن وجه الاتهام نفسه إلى المشارقة، وأشار إلى عدم إنصاف الأندلسيين؛ لأن المشارقة عزفوا عن الثقافة الأندلسية، فأصبحت كالغريبة التي خيرها يدفن، وشرها يعلن.

إن نظرة ابن حزم إلى المشرق، ما هي إلا نظرة إنصاف، أساسها الاعتراف بالسبق، والفضل لأولئك المشارقة في مختلف أنواع العلوم، والمعارف والآداب، ودليل ذلك أنه حاول أن يجد أساسًا وجذورًا لمؤلفات الأندلسيين في تصانيف المشارقة؛ لأن اللاحق (الأندلسيين) يأخذ من السابق (المشارقة)، ويحذو حذوه في الإجادة والأصالة، مع محاولة التجديد،

---

(٥٨) فضائل الأندلس وأهلها، ص١٦.
(٥٩) ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٦.
(٦٠) المصدر السابق، ص١٧٦.
(٦١) ينظر: المصدر السابق، ص١٨٢.
(٦٢) ينظر: المصدر السابق، ص١٨٣.

والابتكار والمنافسة القائمة على التفوق العلمي، وكل هذا يوحي بعدم إنكاره المشارقة وحضارتهم، بل إنه يعترف أنهم هم القاعدة التي استند إليها أهل بلده في العلم، وأن مخزونهم الفكري يبقى موردًا تنهل منه الأمم، ومنطلقًا وأساسًا تقوم عليه مؤلفات الأندلسيين وعلومهم.

ثالثًا: البعد النقدي

تعدّ الروح الانتقادية من أهم سمات شخصية ابن حزم، ولعله "يمثل الشخصية النقدية في الأندلس، إلى جانب ابن شهيد وغيره، تلك الشخصية التي تهدف إلى إبراز الأدب الأندلسي في ثوبه اللائق، والدفاع عنه"[٦٣]، وتقوم منهجيتها على الإحساس بقيمة النتاج العلمي، موضوعيًّا وفنيًّا، والأساس العقلي في إطلاق الأحكام. ويمكن تلمس بعض الآراء النقدية لابن حزم في رسالته، إذ قامت نظراته النقدية فيها على أسس عدة، أهمها:

١. التصنيف

لقد اتبع ابن حزم منهجية خاصة في إيراده المصنفات الأندلسية وتقييمها، وركز في تعداده لها على ظاهرة التخصص الدقيق، وهي سمة تعد من عناصر الثقافة الأندلسية، وقد عرض عددًا مهمًّا من مصنفات المؤلفين الأندلسيين، وقدم دراسة فهرستية نقدية، ما جعل (آسين بلاثيوس) يشيد بالرسالة، قائلًا: إنها "تضم ثبتًا بما ألف الأندلسيون في صنوف الآداب والعلوم، وهي فصول، كل منها يدور حول صنف من العلوم والآداب"[٦٤]، ويمكن القول إن ابن حزم اختط خطة مهمة في التصنيف، تقوم على أساس علمي ومعرفي دقيق، وتنبثق من الأسس الآتية:

أولًا: عرض تآليف المفكرين الأندلسيين الذين عاشوا في الأندلس، منذ الفتح العربي الإسلامي حتى النصف الأول من القرن الخامس الهجري، غير أنه لم يقف إلا عند المشهورين منهم.

ثانيًا: قدم التأليف حسب تصنيف، اتخذ مادة التخصص مقياسًا لها، معبرًا عن استيعابه مفهوم التخصص المعرفي.

ثالثًا: تتسم مواد هذه المصنفات بتنوع كبير؛ إذ شملت جوانب المعرفة الإنسانية المختلفة، مثل تفسير القرآن وأحكامه، وعلم الحديث، واللغة، والتاريخ، والشعر، والطب، والفلسفة، والرياضيات، والفلك وعلم الكلام.

رابعًا: لم يكتفِ ابن حزم بتقديم المصادر الأندلسية وتصنيفها، بل قوّمها بدقة في عدد من الحالات، وقدم محتوى بعضها، ولخصه، وعلق عليه وانتقده.

خامسًا: جعل التأليف في الأندلس بوجهه الأعم مقتصرًا على سبعة مجالات، هي: الفقه وعلوم القرآن، اللغو والنحو، الشعر والشعراء، الأخبار والتواريخ، الطب، الفلسفة، العدد والهندسة، وصنفها وفق مجموعة من القواعد، تتمثل بالسبق، والاختراع، والوضوح، والشرح، والاختصار والترتيب، مستشهدًا

---

[٦٣] عبدالرحيم، مصطفى عليان: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ص٢٨٩.

[٦٤] ينظر: بالنثيا، آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، ط٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٥٥، ص٢٢١.

على كل فرع بعدد من المؤلفين والمصنفات فيه، وهو يرى أن هذه الأصناف السبعة، هي ما يستحق التأليف فيها، ولا يؤلف بها إلا العالم المتقن، يقول: "الأقسام السبعة التي لا يؤلف عاقل إلا في أحدها، وهي إما شيء يخترعه لم يسبق إليه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره، دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه صاحبه يصلحه، أما التآليف المقصرة عن مراتب غيرها، فلم يلتفت إلى ذكرها، وهي _عند الأندلسيين كما يذكر ابن حزم_ أكثر من أن يحيط بعلمها".(٦٥)

لقد قدم "ثبتًا بأعلام النهضة الفكرية في الأندلس، وعدد تآليفهم، ومصنفاتهم في مختلف فروع المعرفة"(٦٦)، واتبع منهجية دقيقة في التصنيف، تدل على معرفته واستيعابه أهم العلوم والمعارف التي يمكن لها أن تنافس غيرها في بلدان العرب الأخرى، سواء في التأليف في المجال نفسه، أو في تفردها عن غيرها، كما أنها تدل على أنه حددها وفق أسس علمية سليمة، أساسها التخصص والقيمة العلمية، بعيدًا عن الكم الذي قد يضر بسمعتها وبقيمتها، وإنما التركيز على النوع وإن قل، فالمهم ما يقدمه من فائدة، تغني التراث المعرفي والفكر الإنساني.

٢. التقييم

قامت النظرة النقدية عند ابن حزم للمصنفات على مقاييس مختلفة، لعل أهمها تقييمه شخصية المؤلف، إذ نجده في أحيان كثيرة يطلق أحكامه على الكاتب نفسه أو المؤلف، ويجعله موضع ثقة في علمه، كقوله عندما تحدث عن علم العدد والهندسة: "إلا أني سمعت من أثق بعقله ودينه من أهل العلم ممن اتفق على رسوخه"(٦٧)، ثم ذكر أسماء هؤلاء الذين رسخ علمهم في تخصصهم، من أمثال "مسلمة(٦٨)، وابن السمح "(٦٩)وغيرهما، وحكمه على هؤلاء ينطلق من أساس عقلي ديني، العقلي مرتبط بتفوقهم وبنبوغهم في مجال تخصصهم، والديني مرتبط بتمسكهم بشرائع الدين وبأحكامه، وهذا سببان مقنعان لأن يكونوا راسخين في علمهم، ما يؤدي إلى الوثوق بهم، وعليه يمكن أن ينافسوا غيرهم ممن هم في منزلتهم العلمية.

ثم إنه في بعض الأحيان يحكم على المؤلف على مبدأ التقليد أو الاختيار، فيعجبه المتخير الذي لا يلزم نفسه بقول عالم واحد أو برأي معين، إنما يأتي بكل رأي مناسب وجدير، كحديثه عن بقي بن مخلد، أحد أبرز علماء التفسير في الأندلس، حيث وصفه بقوله: "وكان متخيرًا، لا يقلد أحدًا"(٧٠)، ما يوحي بأن الحكم بأفضلية هذا المفسر يقوم على أساس الاختيار في

(٦٥) ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٦.
(٦٦) ابن حزم مفهرس الأندلس ومدّاحها_ دراسة نقدية في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها، ص٢٨.
(٦٧) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٥.
(٦٨) مسلمة: هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد، من أهل قرطبة ت٣٩٨هـ، وكان إمام الرياضيين في الأندلس في وقته، وله مؤلفات في علم الهندسة والعدد. "صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد: طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو، ط١، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢، ص٦٩".
(٦٩) ابن السمح: أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح، المهندس الغرناطي ت٤٢٦هـ، ومن كتبه زيجه الذي ألفه على أحد مذاهب الهند. "طبقات الأمم، ص٦٩_ ٧٠".
(٧٠) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٩.

التفسير، فلا يلتزم رأي عالم أو مفسر بعينه، بل ينطلق من مدى فهمه القرآن ومراميه، مع انتقاء ما يناسبه من آراء العلماء وأحكامهم المنطقية، المنسجمة مع مقصد الكتاب العزيز وأحكامه.

ولا يقتصر الأمر عنده على الاختيار، بل يشيد بمن يحاكي غيره محاكاة تقوم على أساس الأصالة، والتجديد ومجاراة العلماء المرموقين، كقوله في وصف تآليف قاسم بن محمد: "وكان شافعي المذهب، جاريًا في ميدان البغداديين"[٧١]، كأنه يرى أن من يسير على نهج أصحاب المذاهب المشهود لها كالمذهب الشافعي، فإنه يتميز كما تميزوا، ولا تعيبه مجاراتهم، إنما تجعل آراءه رصينة، مدعمة بالحجج والبراهين، وكذلك وصفه ابن آمنة الحجاري بأنه "شافعي المذهب، بصير بالكلام على اختياره"[٧٢]، وهو بهذا يجعل السائر في فقهه ومذهبه على مذاهب الأوائل الدينية متميزًا، بصيرًا بعلمه وكلامه، وهذا يدل أيضًا على احترام ابن حزم لأصحاب المذاهب الدينية، ومبادئهم كالشافعي والداودي، إذ يقول في وصف القاضي أبي الحكم منذر بن سعيد بأنه "داودي المذهب، قويًّا على الانتصار له"[٧٣]، ولكنه أحيانًا يتحدث عن مذهب ربما أنه يكرهه، دون أن يشير صراحة إلى ذلك، كقوله في صاحب المظالم أحمد[٧٤]، أنه كان "داعية إلى الاعتزال، لا يستتر بذلك"[٧٥]، كأنه يدعو دعوة مبطنة إلى عدم نشر هذا المذهب، والتستر فيه، فيبدو لا يعجبه الاعتزال.

إن ابن حزم في تقييمه شخوص المؤلفين، لا ينطلق من علاقاته الشخصية بهم، وإنما يقيمهم على قاعدة علمية موضوعية، منبثقة من أسس: التزام الدين وأحكامه، اتفاق أهل العلم على رسوخهم في تخصصاتهم المعرفية، الاختيار والتجديد، المحاكاة والأصالة، المذهب الديني الرصين القائم على أسس شرعية سليمة وغيرها.

ويطلق في كثير من الأحيان أحكامه النقدية على الكتاب أو المصنف، على أساس ذكره مصدر المعلومات، وتقييمه لها، كقوله: "وكتاب لأحمد بن محمد بن موسى في أنساب مشاهير أهل الأندلس، وخمسة أسفار ضخمة في أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها"[٧٦]، فيؤسس حكمه بناء على مصادر الكتاب وموضوعاته، إذ هو مخصص للمشاهير من أهل الأندلس ولأنسابهم؛ لذا فقد كان حكمه عليه بأنه من أحسن الكتب في هذا المجال وأوسعها؛ لكون حجمه كبيرًا، يضم خمسة أسفار ضخمة، ولأنه قام على الانتقاء والاختيار للمشاهير، فقد ضم بين دفتيه تراجم توثيقية لهم، ما يسهم في تخليد ذكرهم، وإلقاء الضوء عليهم، وعلى دورهم في الحياة الأندلسية على مختلف الأصعدة، وهذا يعد تميزًا؛ لكونه اعتنى بالمعروفين

(٧١) المصدر السابق، ص١٨١.

(٧٢) المصدر السابق، ص١٧٩.

(٧٣) المصدر السابق، ص١٧٩.

(٧٤) هو أحمد بن محمد بن حدير، ولي الوزارة والقيادة لعبدالرحمن الناصر، وأخوه موسى بن محمد بن حدير الحاجب، رئيس كان في أيام عبدالرحمن الناصر من أهل الأدب والشعر، ومن أهل بيت ورياسة. "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ج٨، ص٣٣٧. وابن عذاري المراكشي، أحمد بن محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ج٢، ط٢، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٠، ص١٩٤".

(٧٥) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٦.

(٧٦) المصدر السابق، ص١٨٤.

المشهورين الذي لهم شأو في الأندلس، وأغفل البقية، ربما لأنه لم يكن لهم دور فاعل في الحياة السياسية، والدينية، والعلمية، والثقافية وغيرها.

ونجده أحيانًا يقيم الكتاب ويستجيده، منطلقًا من أساس دقة سنده وروايته، ما يحقق له الصدق والموضوعية، ومن منطلق فائدته، ونقاء ما ورد فيه من آراء وحقائق، استنادًا إلى صدقه، وصدق نقله وسنده، ومن ذلك حكمه على كتاب (المجتبى) لقاسم بن أصبغ بقوله: وهو "أنقى حديثًا، وأعلى سندًا، وأكثر فائدة"(٧٧)، وهو كتاب في أحكام القرآن.

أما التفرد في مجال التخصص، فإنه مقياس آخر عند ابن حزم في تقييمه الكتب والمصنفات، إذ يرى في بعض الأحيان تميز الكتاب وتفرده في موضوعه، وإن سبق أحدهم في التأليف بالموضوع نفسه، فإنه لم يستطع أن يأتي بمثل ما أتى صاحب التصنيف الأندلسي، ونجده يطلق عبارات توحي بذلك، كقوله: "ولم يؤلف مثله" أو "ولم يوضع في فنه مثله"، ومن ذلك حكمه على كتاب (المقصور والممدود والمهموز) لإسماعيل بن القاسم، إذ هو "لم يؤلف مثله في بابه"(٧٨)، حيث إنه مصنف وفق أبواب لغوية مهمة، لذا قال: (في بابه)، وهي أبواب في اللغة والنحو، كثيرة الفائدة لمن طلبها، وقوله في كتاب (الأفعال) لابن القوطية: "لم يوضع في فنه مثله"(٧٩)، إذ جعل هذا الموضوع فنًّا لغويًّا نحويًّا، وكلمة (فن) توحي بالإبداع، إضافة إلى التركيز على القواعد النحوية والصرفية، فالأفعال، وصياغاتها، واشتقاقاتها، ومعانيها ودلالاتها هي فن إبداعي في مبناها ومعناها، وليست مقتصرة فقط على قواعد النحو والصرف.

ويعدّ المنهج العلمي الرصين الذي يتبعه المؤلف في تصنيفه معيارًا للتقييم عند ابن حزم، فإذا اعتمد الكاتب على جمع الآراء والروايات، وتعمق في استنباطها، وشرحها، وكشف بواطنها وصنف وجوهها، فإنه يكون متميزًا، وكتابه نبيلًا، يقول في تقييم كتاب (المنتخب) لمحمد بن يحيى بن لبابة، وهو كتاب في الفقه والمذاهب: "وما رأيت كتابًا أنبل منه في جمع روايات المذهب، وتأليفها، وشرح مستغلقها، وتفريع وجوهها"(٨٠)، وعليه فإن المنهج العلمي هو أساس الحكم على الكتاب، وتميزه وجودته.

ومعيار الثقة بالمصنف ومؤلفه يعتمده ابن حزم كوسيلة لاشتهاره، وانتشار ذكره، ولعل الثقة راجعة إلى المؤلف نفسه؛ لأسباب تعود إلى تدينه، وثقة جمهور العلماء به، نتيجة دقة كتاباته، ودقة مصادره وتوثيقها، وواقعيته، كحكمه على كتاب في فضائل بني أمية لقاسم بن أصبغ، إذ يقول: "وكان من الثقة والجلال، بحيث اشتهر أمره، وانتشر ذكره".(٨١)

أما معيار الاستقصاء في التخصص أو الموضوع، فقد اعتمده ابن حزم في تقييماته الكتب، بحيث يستطيع الكاتب جمع كل ما يمكن جمعه حول

(٧٧) المصدر السابق، ص١٧٩.
(٧٨) المصدر السابق، ص١٨١.
(٧٩) المصدر السابق، ص١٨١.
(٨٠) المصدر السابق، ص١٨١.
(٨١) المصدر السابق، ص١٧٤.

موضوعه، حتى يتحقق مبتغاه، ويكون شاملًا جامعًا لكل ما يتعلق بالموضوع، وهذا لا يكون إلا إذا لجأ الكاتب إلى أسلوب الاستقصاء العلمي الدقيق، والبحث في المصادر وإجراء التجارب، حتى تتحقق الفائدة، ومن ذلك قوله عن كتاب في الطب لأبي القاسم الزهراوي: "إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه، ولا أحسن للقول، والعمل في الطبائع"(٨٢)، إذ جمع واستقصى أكبر قدر ممكن من علوم الطب، وقد أكد ذلك أيضًا في حكمه على رسائل سعيد بن فتحون السرقسطي في الفلسفة، إذ يقول: وهي "تامة الحسن، فائقة الجودة، عظيمة المنفعة"(٨٣)، فالمنفعة المرجوة والمتحققة هي معيار مهم في الحكم على مصنفه، ومعلوم أن الرسالة التي يريد الكاتب إيصالها للمتلقين، تعدّ عنصرًا مهمًّا وفاعلًا في الكتاب، وإلا لا فائدة مرجوة منه.

ويكتفي ابن حزم في بعض الأحيان بإطلاقه الأحكام التقييمية على المصنفات بكلمات وتراكيب نقدية انطباعية، دون أن يبررها، كأن يقول (كتاب حسن)، كقوله عن كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الأندلس: وهو "كتاب حسن"(٨٤)، أو يلجأ إلى المفاضلة، واستحسان الكتاب بوصفه حسنًا جدًّا، كقوله عن شرح الإفليلي لشعر المتنبي: "وهو حسن جدًّا"(٨٥)، ما يدل على إعجابه به، واستحسانه لما جاء فيه، أو يجعله غاية في الحسن، كقوله عن كتاب قاسم بن أصبغ في الأنساب: إنه "في غاية الحسن والإيجاز"(٨٦)، وربما أن الإيجاز مع الدقة والاستيعاب هو ما جعل ابن حزم يرى أنه في غاية الحسن، وأحيانًا يجعل الكتب رفيعة حسانًا، كقوله عن كتب يحيى بن إسحاق وابن الكتاني، وهي كتب في الطب، بأنها "رفيعة حسان"(٨٧)، ولعله وصفها بهذا الوصف (رفيعة)؛ ليدلل على قيمتها العلمية والطبية، ولا سيما أن الطب من أرفع العلوم، وأعلاها منزلة.

إن تقييم ابن حزم ونقده الكتب، يقوم على معايير وأسس علمية، أهمها: دقة التوثيق ومصادر التصنيف، دقة السند والرواية، الصدق، التميز والتفرد في الموضوع، والإتيان بأمور جديدة في الفنون والعلوم، الاختيار، المنهج العلمي السليم، الاستقصاء والثقة بالمؤلف، تحقق المنفعة والغاية، وكل هذه جاءت ضمن دائرة نظرته الانطباعية للمؤلف، دون تقديم تقييم علمي ونقدي، يقوم على الاستقصاء الكامل للكتاب.

٥. المقارنة

لجأ ابن حزم في أثناء تقييمه المؤلفات والمصنفين، وإطلاق الأحكام عليهم إلى أسلوب المقارنة بين علماء الأندلس، وكتبهم وفنونهم، يقابلهم علماء المشرق ومصنفاتهم، متوسلًا بأسلوب المقايسة على الأشباه والنظائر، فكل كتاب أو مؤلف في الأندلس، يقابله مثله أو شبيهه في التأليف في المشرق، وكأنه يريد القول: إن كان عندكم في المشرق كذا وكذا، فعندنا في الأندلس مثله، وكان يهدف من ذلك كله إلى

(٨٢) المصدر السابق، ص١٨٥.
(٨٣) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٥.
(٨٤) المصدر السابق، ص١٨٣.
(٨٥) المصدر السابق، ص١٨٣.
(٨٦) المصدر السابق، ص١٨٤.
(٨٧) المصدر السابق، ص١٨٥.

إبراز "أهمية التراث الأندلسي بالنسبة لقرينه المشرقي، وذلك عن طريق المقارنة والمفاضلة التي تمثل ردودًا على كلام ابن الربيب، ودفاعًا عن الشخصية الأندلسية".[٨٨]

وابن حزم في مقارنته لا يأتي بالأحكام دون أدلة، إنما يحاول إثبات صدق ما يأتي به، من خلال "أسلوب المناقشة في سوق الحجج والبراهين"[٨٩]، على ما يورده من تصانيف وفنون، ومن ذلك قوله: "وقد صدق ذلك الخبر، وأبانته التجربة، فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو، والشعر، واللغة، والخبر، والطب، والحساب والنجوم، بمكان رحب الفناء، واسع العطن[٩٠]، متنائي الأقطار، فسيح المجال".[٩١]

ويؤسس آراءه النقدية في المقارنة على قضايا معروفة في النقد، كالتزام الشاعر بمذهب الأوائل، أو المذاهب الشعرية المشرقية أو مذهب المحدثين، وقد بدا ذلك واضحًا في حديثه عن أبي الأجرب جعونة بن الصمة الكلابي الأندلسي، وقد كان جاريًا على مذهب الأوائل كجرير والفرزدق[٩٢]، وفي حديثه عن ابن دراج القسطلي، الشاعر الأندلسي المعروف، الذي لا يقل عن بشار، والمتنبي وأبي تمام، وهم من المحدثين، أو من أتباع المدرسة الحديثة في الشعر[٩٣]، وبهذا فإنه "يربط جيل شعراء الأندلس بحبال الفحول من شعراء المشارقة، مع تمييز لمذاهبهم الشعرية"[٩٤]. ومن خلال هذه المقارنات يتبين أن الشاعر_ على حد رأي ابن حزم_ يكون مجيدًا فحلًا، إذا التزم مذهب الأوائل، أو كان مجددًا، سار على مذهب المحدثين، فكلا المذهبين عنده مقياس للشاعرية والفحولة، مع الالتزام بتجويد الشعر، وتحقيق المقصد والمنفعة منه، فالحكم عنده يقوم على أساسين: فني، وموضوعي، فإن تحققا فالشعر حسن.

ولعله سعى من خلال تلك المقارنات إلى إظهار شعراء الأندلس، وتفوقهم ومجاراتهم شعراء المشرق، وهذا أمر لا ريب فيه، إذ ظهر في الأندلس شعراء مجيدون، ولهم دواوين تضاهي دواوين المشارقة، كابن دراج، وابن زيدون، وابن خفاجة وغيرهم، لذا فقد سعى ابن حزم إلى إلحاق حركة الشعر في الأندلس بحركة الشعر المشرقية في فترتها الذهبية.

إن منطلق الأحكام على الشاعر وشاعريته عنده، يتجسد من خلال "مواءمة ذلك الشاعر بين شكل الأثر الأدبي ومضمونه، وجمعه بين الطبع والصنعة، ومراوحته بين التجويد الفني والتدفق الشعري، وهو بعد ذلك طويل النفس، يقصد المعنى، ويغوص عليه، ويردده، دون أن يخل بألفاظه أو وزنه الشعري"[٩٥].

---

[٨٨] ينظر: ماجد، جعفر: العلاقات بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة، حوليات الجامعة التونسية، ع١٣، تونس: الجامعة التونسية، ١٩٧٦، ص١١١.

[٨٩] أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص١٢١.

[٩٠] واسع العطن: واسع المواضع. "اللسان: عطن".

[٩١] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٤_١٧٥.

[٩٢] ينظر: المصدر السابق، ص١٨٧.

[٩٣] ينظر: المصدر السابق، ص١٨٧_١٨٨.

[٩٤] تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٢٩١.

[٩٥] ينظر: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٢٩٣.

ولا يقتصر الأمر عنده على المقارنة بين الشعراء، إنما يتعدى إلى النقاد والأدباء، أمثال "ابن شهيد، الذي يتصرف بوجوه البلاغة وشعابها، بمقدار يجعله يقع بين الجاحظ وسهل بن هارون في أسلوبه"[٩٦]، إذ هو في الأندلس كالجاحظ وسهل بن هارون في المشرق، من حيث القدرة على النقد، والتصرف في فنون البلاغة ووجوهها، وفي علم الحديث فإن "بقي بن مخلد الأندلسي، يسابق البخاري، ومسلمًا والنسائي".[٩٧]

إن النقد المنهجي الذي بدا جليًّا في مقارنات ابن حزم بين الأندلسيين والمشارقة على أساس التخصص المعرفي، ما هو إلا سبيل للمفاخرة والدفاع عن بلده، ومن الممكن أن نطلق عليه اسم (النقد الدفاعي)[٩٨]؛ لأنه يجسد نزعة دفاعية، يهدف ابن حزم من خلالها إلى "إشراقة الأدب الأندلسي، كما أنها تمثل بعثًا للحركة النقدية في الأندلس، وهي حركة تقوم على أساس العناية الواضحة بطريقة العرب، كاتجاه واضح في التطبيق على مصنفات الأندلسيين وفنونهم، والمفاخرة بهم، من خلال الموازنة التي تقوم على قاعدة ضم المثل إلى مثله، واقتران النظير بنظيره".[٩٩]

وهذه الأحكام على ما فيها من بساطة وإيجاز، لا تخلو من نظرات صائبة، هي من صميم النقد التقويمي، كإدراك خاصية نثر ابن شهيد الأسلوبية في الجمع بين طريقتي الجاحظ وسهل بن هارون، والتنبه إلى أن التدفق الشعري نتاج للتلائم النفسي بين الملكة المبدعة والغرض الشعري، فابن دراج له طول طلق في الوصف، وله قصائد فيها من المعاني ما يجعله فحلًا، والإجماع على أن إبداع المعاني أساس مهم في تمايز الملكات، وتباين الآداب، فالعمل الأدبي الذي تفاخر به الأندلس نتاج لشاعر يزاوج بين الشكل والمضمون.[١٠٠]

إن المقارنة عند ابن حزم قاعدة أساسية في نظراته النقدية، وتصور قدرته على تأكيد آرائه بالأدلة، إذ إنه عندما يقارن يأتي بأشباه لهؤلاء الأندلسيين من المشرق، ممن هم يماثلونهم ويعدون نظائر لهم، وهذه أدلة بيّنة تؤدي إلى مصداقية وموضوعية؛ إذ بها يعترف بفضل المشارقة وقدرتهم، ولا ينكر عليهم نبوغهم في العلوم والآداب، لكنه في الوقت نفسه يرى أن هناك من نبغ مثلهم في الأندلس، فأصبحوا أقرانًا لهم، والقرين بالمقارن يقتدي، ما يوحي أن أولئك المشارقة هم مثل يحتذى عند الأندلسيين، ولولا ذلك لما قارنهم بهم.

المبحث الثاني: التشكيل الفني في الرسالة

يمثل التشكيل طرفًا مهمًّا في الثنائية المركزية التي يقوم عليها النص، إلى جانب الطرف الآخر وهو الرؤية، إذ يتعالق هذان الطرفان، ويتعاضدان معًا؛ ليكوّنا خطابًا متماسكًا واقعيًّا، وقابلًا للتأويل في آن واحد، ولا يمكن الفصل بين هذين الطرفين؛ حيث إن كل منهما مكمل للآخر، فالرؤية لا يمكن تحقيقها

---

(٩٦) ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٨.
(٩٧) ينظر: المصدر السابق، ص١٨٧.
(٩٨) ينظر: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٣٠٣.
(٩٩) ينظر: المرجع السابق، ص٣٠١_٣٠٢.
(١٠٠) ينظر: المرجع السابق، ص٣٠٢.

وتمثيلها إلا من خلال التشكيل الذي يسهم في تنظيمها وهيكلتها، وإبراز مقاصدها، وعليه فإن النص يكون له ركنان أو شكلان أساسيان، وهما على حد قول (كولردج): "الشكل العضوي، والشكل الآلي، العضوي نابع من فكرة في نفس المبدع، أي رؤيته، أما الآلي، فهو القوانين والقواعد الفنية، والعناصر التكوينية التي تتحد معًا لتجسيد فكرة النص، وعاطفته ومعناه الباطني، وبهذا فإن الشكل والمضمون يتحدان اتحادًا تامًا حتى يصعب الفصل بينهما".[١٠١]

والتشكيل هو مجموعة من "الآليات التي تهيكل النص، وتسهم في كشف أسراره، ولعبته الفنية، وتقييمه، وتمكن القارئ من التوغل في أعماقه"[١٠٢]، وهو شبكة من العناصر والأدوات، تحتشد في سياق تكويني مؤتلف، تسهم في بناء هذا السياق، وتمنحه قوة جمالية في التعبير والتصوير، وتساعد في تجسيد البنية الفكرية العميقة له. ولعل أهم الآليات التي يرتكز عليها التشكيل في رسالة ابن حزم، تتمثل بما يأتي:

أولًا: اللغة

اللغة عنصر مهم وركن رئيس من أركان النص، و"عامل من أقوى العوامل التي تتوقف عليها قيمته، ... وتماسكه يتوقف على أساس الدقة في اختيار الكلمة، ووضعها في بيئتها، وامتزاجها مع معناها، إذ هو في مجموعه طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبرة"[١٠٣]، ولا بدّ للمبدع من أن يحرص على انتقاء مفرداته؛ لأنها غايته ومبتغاه في كل عمل فني يقدمه، فالكلمات تعني أشياء في ذاتها، تنمو كالعشب والأشجار.[١٠٤]

وقد جاء المعجم اللغوي لابن حزم علميًّا، من خلال ألفاظ واضحة، تبتعد عن التعقيد، وربما كان هذا؛ لكون الرسالة تعالج موضوعيًّا جادًّا، ولا مجال فيها للرمزية وغيرها، وهي لغة تمثل تحضره اللغوي، المتصل بحياة أهل الأندلس، ومعبرة عن البيئة الحضارية الأندلسية، وجاءت تلك اللغة متلائمة مع المعاني التي يقصدها، وتناسبت ألفاظها مع أهدافه، إذ نجده في " مطلع كل فقرة يستخدم صيغًا لغوية محددة، يستفتح بها وخلالها المقطع السردي، فيربط السابق من المقاطع باللاحق، ضمن تكاملية السياق الدلالي، وضمن محموله الخطابي المشار إليه، وهو فضل الأندلس، وشعاع المعرفة الذي يحمله علماؤها"[١٠٥]، ومن ذلك استخدامه ضمير الجماعة

---

[١٠١] ينظر: بدوي، محمد مصطفى: كولردج، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨، ص٩٢_٩٣.
[١٠٢] ينظر: العيد، يمنى: تقنيات السرد الروائي، ط٢، بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٩، ص١٥.
[١٠٣] بلبع، عبدالحكيم: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩، ص٢١٦.
[١٠٤] سارتر، جان بول: ما هو الأدب؟، ترجمة: محمد غنيمي هلال، د.ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١، ص٣_٤.
[١٠٥] قبيلات، نزار وآخرين: رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج ٢٠، ع٨، العراق: جامعة تكريت، ٢٠١٣، ص٦٢.

(نا) في افتتاحياته السردية، وسياقاته النصية، من مثل قوله: "ضمنا المجلس الحافل"[١٠٦]، وقوله: "مآثر بلدنا"[١٠٧]، وقوله: "والذي نعاه علينا الكاتب"[١٠٨] وغيرها، وهذا الضمير (نا) قصد به الأندلس بوجه عام، وربطها بنفسه، فشكلت (نا) له، كأنه يربط نفسه ببلده، ويندمج معها اندماجًا كبيرًا، لغدو ناطقًا بلسانها، مدافعًا عنها.

ويستثمر ابن حزم صيغة لغوية مهمة، بدت ظاهرة بشكل جلي في الرسالة، تتمثل بجنوحه نحو الجموع، إذ لجأ إليها في حديثه عن الأندلس، ومؤلفيها وتصانيفهم، ففي سياق وصفه الأندلس بوجه عام، يستثمر الجموع (أفانين العلوم، وجوه المعارف، مآثر بلدهم، ملوك علمائهم، أرباب العلوم، ...إلخ)، ثم إنه يضيف إليها كلمات تدل هي أيضًا على الجمع، وترتبط بالأندلس وبفضلها في مختلف فروع العلم والمعرفة، وتدل في أغلبها على الكثرة، وهو يسعى من خلالها إلى تأكيد هدفه من الرسالة، المتمثل بالدفاع عن بلده، من خلال سوق الأدلة والبراهين على ما تتمتع به من حضارة وفكر، تمثله هذه العلوم والمآثر الكثيرة، ثم إنه عندما يتحدث عن المصنفات يلجأ أيضًا إلى صيغة الجمع، من مثل قوله: "تآليف في غاية الحسن"[١٠٩]، و"تواريخ أحمد بن محمد"[١١٠]، و"أما الفلسفة، فإني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونًا مؤلفة"[١١١]، ليؤكد تعدد المصنفات وتنوعها في هذه الميادين العلمية، ويبرز دور الأندلسيين في إغناء الفكر العربي، وقدرتهم على خوض غمار ألوان العلوم المختلفة.

أما على مستوى الأفعال، فقد زاوج ابن حزم بين الماضية والمضارعة، لكنه أكثر من الماضية، وذلك يبرز في حديثه عن المصنفات ومؤلفيها، من مثل قوله: "وكان من الثقة والجلال، بحيث اشتهر أمره، وانتشر ذكره"[١١٢]، وقوله: "فقد رأيت من ذلك كتبًا مصنفة في غاية الحسن"[١١٣]، وقوله: "على كثرة ما صنفوا في ذلك"[١١٤] وغيرها، والناظر في العبارات يدرك أنها ارتكزت على أفعال ماضية (كان، اشتهر، انتشر، رأيت، صنفوا)، ما يدل على تحققها، وأنه لا مجال للشك في وجودها، وهذا فيه "تأكيد لصحة الفعل، وتحققه، ووقوعه، وتقوية حضوره في ذهن المتلقي، وطرح لمحتواه على أنه من قبيل الحقائق والمسلمات التي لا تمارى، ونفي له عن أن يكون موطن نقاش أو جدال"[١١٥]، وهذا ما سعى إليه ابن حزم من خلال هذه الأفعال الماضية التي تعكس تحقق الأمر، وثباته المتمثل بالتصنيف والتأليف، فالفعل الماضي "يعطي المعنى أنه قد كان ووُجد".[١١٦]

---

[١٠٦] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.
[١٠٧] المصدر السابق، ص١٧٢.
[١٠٨] المصدر السابق، ص١٧٥.
[١٠٩] المصدر السابق، ص١٧٨.
[١١٠] المصدر السابق، ص١٨٣.
[١١١] المصدر السابق، ص١٨٥.
[١١٢] المصدر السابق، ص١٨٤.
[١١٣] المصدر السابق، ص١٨٣.
[١١٤] المصدر السابق، ص١٨٠.
[١١٥] رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، ص٧٦.
[١١٦] ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج٢، ط٢، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت، ص١٨٥.

ونجده أحيانًا يستثمر الأفعال المضارعة، وذلك في معرض حديثه بضمير المتكلم، كقوله: "وأنا أقول"[١١٧]، وقوله: "إذ مرادنا أن نأتي منه بالمطلب"[١١٨]، وقوله: "ولا أعلم في أخبار البصرة"[١١٩]، فيبدو من خلال ذلك كأنه يتحدث الآن؛ لكي يؤكد صلاحية ما يقوله لكل زمان ومكان، إذ إن صيغة المضارع تؤدي بالدلالة أن "تكون مستحضرة في الذهن، حتى يغدو المتلقي كأنه مشاهد ساعة الإخبار"[١٢٠]، ويعد هذا من أهم دلالات المضارع، حتى أن ابن القيم جعله "أبلغ في الإخبار من الماضي؛ لأنه يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها".[١٢١]

ولجأ ابن حزم إلى صيغة التفضيل في بعض المواضع، وذلك في أثناء تقييمه المصنفات، كقوله في كتاب (المجتبى): هو "أنقى حديثًا، وأعلى سندًا وأكثر فائدة"[١٢٢]، ولا يلجأ هنا إلى تفضيل كتاب على آخر، إنما يهدف من التفضيل إلى إلقاء الضوء على الكتاب المقصود، وإبراز اتصافه بالحدث أو المعنى، وتفوقه فيه، ويستحضر أحيانًا في سياقات مقارنته بين مصنفات المشارقة والأندلسيين أسلوب التفضيل، ومن ذلك قوله في كتاب (الكامل) للمبرد: "إنه أكثر نحوًا وخبرًا"[١٢٣]، حيث يقارنه بكتاب (النوادر) للقالي، الذي هو "أكثر لغة وشعرًا"[١٢٤]، ولعله هنا لا يفضل أحدهما على الآخر، بل يقصد إلى إظهار فضائلهما، وإبراز أهمية كل واحد منهما، وتنوعه في علوم اللغة وفنونها، وظهور بعض فروع تلك العلوم في كل واحد أكثر من الآخر، دون التقليل من أهمية أي منهما، فكلاهما له قيمته في مجاله.

إن السمة الغالبة على لغة رسالة ابن حزم وألفاظها هي السهولة، والوضوح، والابتعاد عن التعقيد، والغرابة، والوحشية وغيرها من الصفات التي "تخل بفصاحة الكلمة، مما تعارف عليه أهل البلاغة، من تنافر الحروف، ووحشية الألفاظ ومخالفة القياس"[١٢٥]، وربما أن هذا جاء بفعل الطبيعة الأندلسية والذوق العام فيها، إذ لم تعد الألفاظ الغريبة والوحشية تناسبه، إنما جاءت اللغة متسقة والحاجات النفسية، والفكرية والسياسية لذلك الذوق ولتلك الطبيعة، وتقوم على الألفاظ الفصيحة السهلة، ذات الدلالات الواضحة التي لا تحتاج إلى معاجم لتفسيرها، والقصد منها مجتمعة تحقيق فائدة المعنى، أو لازم فائدته، والغاية العلمية التي يسعى إليها الكاتب، فهو ليس في ميدان يسمح له بالتعقيد والتكلف؛ لكونه يعالج

[١١٧] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٣.
[١١٨] المصدر السابق، ص١٧٥.
[١١٩] المصدر السابق، ص١٧٦.
[١٢٠] رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، ص٧٦.
[١٢١] ينظر: ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص٣٣.
[١٢٢] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٩.
[١٢٣] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٢.
[١٢٤] المصدر السابق، ص١٨٢.
[١٢٥] ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج١، ص١٦٧_٢٠٦.

موضوعًا جادًّا بصرامة؛ لذا فإنه لم يربط الألفاظ بالرمزية، إلا ما ندر، وعلى الرغم من طول الرسالة إلى حد ما، فإننا لا نجد فيها ألفاظًا كثيرة تحتاج إلى تفسير، ولعل مثل هذه الألفاظ كانت محدودة، من مثل قوله عن قرطبة: إنها "معق تمائمنا"[١٢٦]، فهذا التركيب يرتبط بـ"الصبي الذي تعلق عليه التمائم لتحميه من الحسد"[١٢٧]، و(معق) تدل فيما تدل على "قلب العمق"[١٢٨]، وقد جاء به ليجسد حبه العميق لقرطبة وإعجابه الكبير بها، فهي تحتاج إلى شيء يحميها ويعوذها من العين والحسد؛ لعظم مكانتها، ولكثرة علمائها، وافتتانه بها وانتمائه الشديد لها.

ولجأ ابن حزم في رده على ابن الربيب إلى عبارة يصف بها نفسه، يقول: بأني كـ"باني صوى في مهيع القصد اللاحب"[١٢٩]، ومثل هذه العبارة الرمزية الاستعارية، تحتاج ألفاظها إلى تفسير وتأويل، فـ(صوى) تدل على "الأحجار التي تشكل علامة في الطريق"[١٣٠]، و(مهيع) تعني "الطريق الواسع البيّن الواضح"[١٣١]، و(اللاحب) هو "الطريق المعبد الواضح"[١٣٢]، فقد استعار ابن حزم لنفسه هذه الصورة التمثيلية؛ ليجعلها كالعلامة الواضحة البارزة في الطريق الواسع، إذ لا يمكن أن يضلها أحد، وهو يقصد هنا أن فضائل الأندلس ومآثرها واضحة للعيان، وربما أن ابن الربيب قد تناساها أو تجاهلها، وهي البيّنة التي لا يمكن لأحد أن لا يراها.

وعلى الرغم من أن النص_ كما أسلفنا_ يعمد إلى اللغة العلمية المركزة، إلا أننا لا نعدم فيه بعض الزخارف والمحسنات البديعية، كالسجع، والجناس، والطباق وغيرها، ومعلوم أن السجع "سمة زخرفية، تختص باللفظة المركبة في جملة، تتوافق فيها بعض فواصل الكلام المنثور على حرف واحد"[١٣٣]، وله دور كبير في شاعرية النص؛ إذ يسهم في تحقيق الجرس والنغم، ما يجعل الأذن تطرب له، كما أنه يساعد في ترسيخ الدلالة من خلال تكرار الحرف الأخير في الجمل المتعاقبة، حيث تشد المتلقي، وتجعله يركز في مدلولاتها، وقد جاء السجع في الرسالة متناسبًا مع هدفها العلمي، وهو سجع غير متكلف، ومثل هذا النوع محمود، إذ "لا وجه لذمه إلا إن يدل على التكلف"[١٣٤]، وقد اعتدل ابن حزم في استخدامه السجع، واستثمر قدرته على تحسين المعاني أو ابتكارها، وقام على التنويع في الفواصل، وقصر الجمل المتعاقبة في الفقرة الواحدة، ومن ذلك قوله: "فلم يقضِ من مجاورتك أربًا، ولا بلغ في محاورتك مطلبًا، وإني لما احتللت بك، وجالت يدي في مكنون كتبك"[١٣٥]، والملحوظ أن الجملتين الأولى والثانية

(١٢٦) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٤.
(١٢٧) اللسان: عقق.
(١٢٨) اللسان: عقق.
(١٢٩) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.
(١٣٠) اللسان: صوى.
(١٣١) اللسان: هيع.
(١٣٢) اللسان: لحب.

(١٣٣) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج١، ص٢٠٩_٢١٠.
(١٣٤) الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبدالغفور: إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، د.ط، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٦، ص٢٣٥.
(١٣٥) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧١.

التزمتا فاصلتين متماثلتين (أربا، مطلبا)، أما الجملتان بعدهما، فقد جاءتا بفاصلتين متماثلتين، ومختلفتين عن الجملتين اللتين قبلهما، وهما (بك، كتبك)، وهذا التنوع يدل على قدرة الكاتب اللغوية، وبراعته في التصرف بالألفاظ، وابتعاده عن السجع الطويل المتكلف.

وقد أسهم هذا السجع في تجسيد أفكاره، المتمثلة بحبه لصديقه أبي بكر الذي خاطبه في مستهل الرسالة، وجعل حاجته في رؤياه ومحاورته غير منقضية؛ لشوقه الكبير له، وهو الذي يسعى إلى التقرب إليه، والاطلاع على خزائنه، وكتبه التي عثر من خلالها على رسالة ابن الربيب، وكان ذلك هو السبب وراء كتابة رسالته هذه.

وقد سار السجع في الرسالة على وتيرة واحدة، ترتبط بعدم التطويل، وعدم الالتزام بحرف واحد في جمل وفواصل كثيرة، وإنما اعتمد على تنوع حرف السجعة، والتزامه بالسجع لم يكن يتعدى الجملتين أو الثلاث، ليتمكن من خلالها من إيصال المعنى المقصود والفكرة المأمولة، ومن ذلك قوله في وصف كتاب في الحديث: "وهو وإن كان صغير الجرم، قليل الورق، يزيد على المائتين زيادة يسيرة، فعظيم الفائدة، لأنا أسقطنا فيه المشاغب كلها، وأضربنا عن التطويل جملة، واقتصرنا على البراهين المنتخبة، ... ولنا فيما تحققنا به تآليف جمة"(١٣٦)، لقد استهل كلامه بجملتين مسجوعتين سجعًا متوازنًا، إذ "توافقت الفاصلتان فيهما في الوزن، واختلفتا في القافية"(١٣٧)، وقد أسهمت هاتان الفاصلتان بوصف الكتاب، من حيث صغر حجمه وقلة ورقه، ثم ترك السجع، وعاد إليه مرة أخرى في الجمل اللاحقة، وقد استطاعت هذه الجمل التي تنوعت بين السجع وعدمه، أن تبرز قيمة الكتاب وأهميته، وهذا التنوع يكشف عن أن السجع ليس هدفًا مقصودًا عند الكاتب، وإنما هو آلية يستعين بها دون تكلف؛ ليحقق مراده، من ثم إنه بالرغم من عدم تطويله، إلا أنه يحقق جرسًا يرتبط بتماثل النطق بالفواصل الأخيرة المتوازية في نسق لفظي، فيه سكت ووقف في نهاية الجمل القصيرة المتلاحقة، عبر دفعة واحدة، وكلمات متقاربة من حيث العدد ومدى النطق.

أما الجناس، فلم يعمد إليه ابن حزم كثيرًا؛ وربما لأنه أراد أن ينأى برسالته عن الزخرفة التي قد تضر بالمعنى، وتؤدي إلى التكلف، ومع هذا فإننا نلمح فيها بعضًا من الألفاظ المتجانسة، وهي مجانسة ناقصة، ولا سيما من حيث اختلاف أنواع الحروف، ولعل هذا النوع من الجناس، يساعد في إبعاد الرتابة عن النص ولغته؛ لأنه يعتمد على كلمات ذات أوزان متنوعة وحروف مختلفة، ما من شأنه أن يجسد المعاني، ويستأثر بخواطر المتلقي، ويشده إليها، وقد عمد ابن حزم إلى هذا النوع، ولم يكثر منه، ومن الأمثلة على ذلك قوله: "والمنزل المحفوف بكل لطيفة وسيعة من

(١٣٦) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٦.

(١٣٧) ينظر: السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨، ص٦٢٢.

دقيق المعاني وجليل المعالي"[١٣٨]، إذ جانس بين (المعاني، المعالي) جناسًا ناقصًا باختلاف نوع الحرف قبل الأخير، وقوله: "فحسبي بذينك العلمين دليلًا على سعيه المشكور وفضله المشهور"[١٣٩]، حيث جانس بين لفظتي (المشكور، المشهور) جناسًا ناقصًا باختلاف الحرف الثالث، وقوله: "لا توازي قومته نومته"[١٤٠]، جانس بين (قومته، نومته) جناسًا ناقصًا باختلاف نوع الحرف الأول. إن هذه الجناسات الناقصة أسهمت في تصوير المقصود بالوصف أو الكلام، كالمنزل في العبارة الأولى الذي هو منزل علم، وله مكانة عالية، وصاحب العلمين في العبارة الثالثة الذي شكر سعيه، وأقر بفضله، وكل هذا ما كان ليتحقق، لولا أنه استثمر الجناس الناقص المعبر عن المعاني المنشودة.

أما الطباق، فشأنه شأن الجناس، جاء نزرًا ومحدودًا في الرسالة، وقد زاوج ابن حزم بين نوعيه (الإيجاب، السلب)، فمن طباق الإيجاب، نجد قوله: "ولا يدنو من المعالي دنوه، ولا يعلو في حميد الخلال علوه"[١٤١]، إذ طابق بين الاسمين (دنو، علو)، وبين الفعلين (يدنو، يعلو)، ولعله أراد من ذلك أن يحقق المعاني المتضادة المرتبطة بانفعالاته، ومشاعره تجاه الموصوف (صاحب البونت)، المتمثلة بإظهار منزلته العالية، إذ لا يستطيع أحد أن يجاريه بها، وهي مكانة ثابتة ومتجددة مستمرة، وقد تحقق ذلك بفعل الاسمين المتضادين (علو، دنو)، وما يدلان عليه من تحقق وثبات، تحقق العلو للسلطان، وتحقق الدنو لمن هم ليسوا في مكانته، كما أن علوه مستمر متجدد عبر الأزمان، ودنو غيره أيضًا مستمر، وقد تجسد ذلك من خلال علاقة التضاد بين الفعلين المضارعين (يدنو، يعلو) الدالين على الاستمرارية.

وجاء الطباق بين لفظتي (قبل، بعد) في إقرار ابن حزم لأمر الله وقدره، وذلك من خلال عبارة "لله الأمر من قبل ومن بعد"[١٤٢]، وعلى الرغم من علاقة التضاد بين الظرفين، إلا أنها لا تعكس حدوث الشيء وعدمه، إنما تدل على حدوثه في الحالتين معًا، بل وفي كل الأحوال، فكل شيء بأمر الله_عز وجل_ ماضيًّا وحاضرًا ومستقبلًا، وهذا الإقرار من ابن حزم يرتبط بنزعته الدينية المعروفة.

وطابق في موضع آخر بين اسم وفعل، إذ يقول: "متفقون على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها، ولم يرحل عنها"[١٤٣]، حيث الطباق بين الاسم (هجرة) والفعل (استقر)، وكذلك بين الفعلين، المضارع (يرحل) والماضي (استقر)، وقد استثمر الكاتب هذا الطباق؛ ليربط بين الهجرة إلى الأندلس، والرحيل عنها، أو الاستقرار بها، لكي يحقق غايته المتمثلة بتحديد هوية الأندلسي المرتبطة بكل إنسان هاجر إليها واستقر بها، ولم يرحل عنها، وبهذا فهي أحق به من غيرها.

(١٣٨) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.
(١٣٩) المصدر السابق، ص١٧٢.
(١٤٠) المصدر السابق، ص١٧٢.
(١٤١) المصدر السابق، ص١٧٢.
(١٤٢) المصدر السابق، ص١٧٢.
(١٤٣) المصدر السابق، ص١٧٥.

لقد نوع ابن حزم في أساليبه اللغوية التي سعى من خلالها إلى تجسيد أفكاره وآرائه، فكانت لغته وألفاظه سهلة إلى حد ما، واضحة الدلالة، وقد اختار من الكلمات ما يتسق وهدفه العلمي الجاد، المتمثل بإحصاء علوم أهل الأندلس، ومصنفاتهم وأهم المؤلفين فيها، فتخير من الصيغ اللغوية كالأسماء، والجموع، والأفعال الماضية والمضارعة ما كانت قادرة على تحقيق هدفه ومقصده، فضلًا عن استثماره بعض الأساليب اللغوية كأسلوب التفضيل؛ ليحقق من خلاله المقايسة والمفاضلة بين المصنفات وغيرها، إضافة إلى جنوحه نحو الرموز والاستعارات بشكل ضئيل التي سعى من خلالها إلى تصوير المفاخر الأندلسية كالمدن، والتآليف وغيرها، ثم إنه استثمر في بعض الأحيان المحسنات البديعية كالسجع، والجناس والطباق، ما ساعده في تجلية المعاني، وتوضيحها وتتميمها، وقد اتسمت تلك المحسنات بعدم التكلف، وحققت سمة الجمال للنص الذي هو في الأصل إبداع أدبي، ولا بدّ من تمثله ببعض الظواهر الجمالية كالبديع الذي أضفى عليه مسحة جمالية، تؤثر في المتلقي، وتجذبه نحوه، وتبتعد به عن السأم والرتابة، وترسخ الأفكار في نفسه.

ثانيًا: التناص

يعدّ التناص آلية فنية يلجأ إليها الكُتّاب والمبدعون؛ لتساعدهم في التعبير عن رؤاهم ومعانيهم، وتأكيد أفكارهم، وتتميمها وترسيخها في نفوس المتلقين، فضلًا عن أثرها الفني المتمثل بإضفائها جمالًا وشاعرية على النصوص، وقد أطلقت (جوليا كريستيفا) على التناص مصطلح (التصحيفية)، على أنه يعني "امتصاص نصوص (معاني) متعددة داخل الرسالة التي تقدم نفسها من جهة أخرى، باعتبارها موجهة من طرف معين"[١٤٤]، ويلجأ إليه الكاتب، إما لإكمال نقص أو عجز فكري أو لغوي، وإما بهدف مقصود، هو نقل القارئ من زمان لآخر، ومن مكان لآخر، بغية زيادة لهفته وتعطشه لاستقاء المعنى الذي يتزايد، ويتعدد بفعل ذلك الانتقال.[١٤٥]

ويحقق التناص حيوية للنص، تتأتى من رحم نص آخر، يتشربه ويستعين به، إذ هو "نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه"[١٤٦]، وتتعالق تلك النصوص لتشكل نصًّا جديدًا بكيفيات مختلفة[١٤٧]، ما يؤدي إلى فتح مجال التأويل في هذا النص الجديد، وهو ناتج عن "حدوث علاقات تفاعلية أو وشائج بين نص وآخر، أو بين نص ونصوص أخرى"[١٤٨]، وبهذا يسهم

---

(١٤٤) ينظر: كريستيفا، جوليا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، ط٢، الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٩٧، ص٩_١٠.

(١٤٥) ينظر: تاوريريت، بشير: الحقيقة الشعرية في ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية_ دراسة في الأصول والمفاهيم، ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠، ص٢٤٧.

(١٤٦) الغذامي، عبدالله: ثقافة الأسئلة_ مقالات في النقد والنظرية، ط٢، الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣، ص١١١.

(١٤٧) مفتاح، محمد: التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦، ص١٢١.

(١٤٨) حلبي، أحمد: أشكال التناص الشعري_ شعر البياتي نموذجًا، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٣٠، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧، ص٦٠.

التناص في توليد نص جديد، ويعد هذا من أهم وظائف التناص التي تتمثل بالتحويلية، والدلالية التأويلية.

إن الناظر في رسالة ابن حزم يدرك أن التناص له حضور فيها، وقد تنوعت أساليبه بين الاقتباس المباشر دون تغيير أو تحوير، أو اقتباس المعاني، وصياغتها بلغة تتسق ولغة الرسالة، بحيث تندمج معها، حتى لتبدو في أحيان كثيرة، أنها ليست اقتباسًا، وأحيانًا أخرى يلجأ إلى استدعاء الشخصيات التراثية؛ ليفيد من دورها في إغناء الحضارة، ويقارن هذا الدور بدور الأندلسيين وفضلهم، دون الانتقاص من فضل تلك الشخصيات، بل إنه يقرّ به ويفخر. أما أشكال التناص في الرسالة، فقد جاءت على ضربين: التناص الديني، التناص الأدبي، ويدخل في سياقهما استحضار الشخصيات المرتبطة بهما.

١. التناص الديني

ويتمثل بأثر النص الديني في الرسالة، ولا سيما آيات القرآن الكريم، وقد استثمرها ابن حزم في سياقات جمله الدعائية، ووظفها لأنها قادرة على "التعبير عن التعظيم لله تعالى، ومتضمنة التوفيق والصلاح للمدعو له"(١٤٩)، ومن ذلك دعاء ابن حزم لنفسه، قبل أن يبدأ بسرد المصنفات، وأسماء أصحابها بقوله: "وما توفيقي إلا بالله سبحانه"(١٥٠)، وقد اقتبسها من قوله تعالى: {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ(١٥١)}، حيث أخذ التركيب (وما توفيقي إلا بالله) دون أن يغير في ألفاظه أو يحورها، لكنه أضاف إليه المصدر (سبحانه)؛ لكي يؤكد تنزيهه وتقديسه لله جلت قدرته، فضلًا عن أنه باستهلاله الحديث والتفصيل بمآثر الأندلس وعلومها بهذه العبارة الدعائية، إنما يكشف عن استعانته بالله، ليكون معينه في ذلك، ويوفقه لما يسعى إليه، وهذا يجسد نزعته الدينية، وإقراره أن كل شيء بيد الله، ولا سيما أنه لجأ قبلها إلى العبارة "ولله الأمر من قبل ومن بعد"(١٥٢) التي استقاها من قوله عز وجل: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(١٥٣)}، وقد ضمنها بألفاظها، لكنه لم يشر صراحة إلى أنها آية، ربما لكون القارئ قادرًا على إدراك ذلك دون عناء، وقد أسهمت هذه الآية بإضفاء الروح الدينية على النص، وبأن صاحبه يستعين بالله في جميع أحواله ومساعيه.

لقد افتتح ابن حزم حديثه حول المصنفات بالإقرار بقدرة الله، ودعائه أن يوفقه، ويمنحه القدرة على الرد على ابن الربيب، والإحاطة بأهم تآليف الأندلسيين؛ لتكون برهانًا له أمام كل من ينتقص من جهودهم، وبعد أن فصّل بها وصنفها، ختم كلامه بقوله: "وما كان لله فسيبدو، وحسبنا الله ونعم الوكيل"(١٥٤)، وهو اقتباس من قوله تعالى: {وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ(١٥٥)}، ليلتمس المعنى المتأصل بها، المتمثل بأن الله سانده بقوته وبقدرته لإظهار ما سعى إليه وإبرازه، ولعل مثل هذه الاستدعاءات القرآنية تمثل

(١٤٩) ينظر: إحكام صنعة الكلام، ص٧٢_٧٩.
(١٥٠) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.
(١٥١) هود: ٨٨.
(١٥٢) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.
(١٥٣) الروم: ٤.
(١٥٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٧.
(١٥٥) آل عمران: ١٧٣.

تأكيدًا لما قدمه ابن حزم من أفكار، ومعارف، وأسماء شخوص وتصانيف؛ وإقرارًا منه بفضل الله جلت قدرته، وأنه يسعى من خلالها قبل كل شيء نيل رضاه عز وجل، يقول: "ولا أردنا السمعة فنسميها، والمراد ربنا جل وجهه، وهو ولي العون فيها"[١٥٦]، فهو عونه، وهو الذي وفقه لكي يستطيع إظهار جميع هذه الفضائل والمآثر.

وظهرت النغمة الدينية عنده في تلك الجمل المعترضة التي تفيد الدعاء أيضًا، وهو دعاء مرتبط بالله، بأن يحفظ المدعو ويبقيه، إن كان حيًّا، وأن يرحمه إن كان ميتًا، ويرضى عنه إن كان من الصحابة أو التابعين أو الأتقياء الصالحين؛ لذا نجده قد أكثر من عبارات "رحمه الله تعالى"[١٥٧]، "رضي الله تعالى عنهم أو عنه"[١٥٨]، "رحمة الله عليهم"[١٥٩] وغيرها، وجميع هذه العبارات تمثل تناصًّا واقتباسًا لعبارات دعائية معروفة في ثقافتنا الإسلامية، وتدل على احترام ابن حزم لأولئك الذين يدعو لهم، واعترافه بفضلهم وبمكانتهم الدينية، والأدبية والعلمية.

واستثمر ابن حزم في بعض المواضع ألفاظ القرآن الكريم في سياق حديثه عن المؤلفين ومصنفاتهم وتقييمها، وتبيان آراء الناس فيها، وجحودهم لها أحيانًا، ومن ذلك قوله مدافعًا عن الأندلسيين الذين يهاجمهم بعض أبناء بلدهم، وينكرون فضلهم: " فإن تعرض لتأليف غمز ولمز، وتعرض وهمز"[١٦٠]، فكلمتا (لمز، همز) تناص مع قوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ[١٦١]}، وقد استثمرهما ليضفي دلالاتهما السيئة على أولئك المنتقدين بغير علم لمن يؤلف في الأندلس، فهم مغتابون للناس، عيّابون طعانون بهم، دون وجه حق، وما هذا إلا إنكار لفضلهم، لقصورهم عن الإتيان بمثل ما أتوا، ومثل هذه الألفاظ المستوحاة من القرآن الكريم، تعدّ دلالاتها من أشد الصفات وأقبحها، وعليه فقد لجأ الكاتب إليها ليعنفهم، ويوبخهم بأقسى الألفاظ والصفات، وهذا يؤكد مدى حبه لأبناء جلدته ودفاعه عنهم؛ لأن كل من يذمهم بغير علم ومعرفة، سينال منه أقسى العقوبات المتمثلة بالطعن بهم، ونعتهم بأقبح الصفات.

لقد جاء التناص من القرآن الكريم على مستويين: الأول الاقتباس المباشر من الآيات، والإفادة من دلالاتها في تأكيد المعاني وترسيخها، أما الآخر، فقد جاء على مستوى استدعاء الألفاظ القرآنية، مع الاحتفاظ بدلالاتها أيضًا، إذ لم يلجأ الكاتب إلى استحضارها؛ ليعبر من خلالها عن أفكار ومعانٍ جديدة، إنما ربطها بمعانيها القرآنية الأصيلة.

أما الحديث النبوي الشريف، فقد تناص معه ابن حزم في بعض مواضع الرسالة، ولا سيما أنه كان معتزًّا بالشخصية الأندلسية وبفضائلها في تطوير الثقافة الإسلامية العربية؛ لذا بحث عن كل ما يساعده في التعبير عن ذلك، ومنه أحاديث الرسول عليه السلام،

---

(١٥٦) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٧.
(١٥٧) ينظر: المصدر السابق، ص١٧٥، ص١٧٧.
(١٥٨) ينظر: المصدر السابق، ص١٧٥، ص١٨٠.
(١٥٩) ينظر: المصدر السابق ، ص١٧٩.
(١٦٠) المصدر السابق، ص١٧٨.
(١٦١) الهمزة: ١.

فقد سعى إلى "إضفاء صفة القداسة على الأندلس"[١٦٢]، مستغلًّا حديث الرسول عليه السلام، وقصة أم حرام بنت ملحان، إذ يشير إلى حديث رواه مسلم في صحيحه أن الرسول عليه السلام نام ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت له بنت ملحان: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: "ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج[١٦٣] هذا البحر ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة"، وأنه نام مرة أخرى، وفعل كفعله الأول، فلما قالت له أم حرام: ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: "أنتِ من الأولين"، وقد تحققت رغبة أم حرام بأن كانت مع الفاتحين الذين ركبوا البحر، واستشهدت بالقرب من جزيرة قبرص[١٦٤]، ويرى ابن حزم أن هذا الحديث يشير إلى المسلمين الذين فتحوا الأندلس، ويحلل ذلك بأن (الأولين) تقتضي وجود (الآخرين)[١٦٥]، وهم الفئة التي تواصل ركوبها البحر حتى تفتح الأندلس، ويؤكد ذلك بأن الرسول عليه السلام لا ينطق عن الهوى، وهو الذي "أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب"[١٦٦]، مستوحيًا هذه العبارة من قوله عليه السلام: "فُضِّلتُ على الأنبياء بست" منها "أعطيت جوامع الكلم"[١٦٧]، ساعيًا من خلالها إلى إبراز أهمية الأندلس الدينية والثقافية، ويسوق دليلًا دامغًا على ذلك، يتمثل بحديث الرسول عليه السلام الذي أوتي جوامع الكلم، وفصل الخطاب، والفصاحة والبيان.

وكان صلى الله عليه وسلم يعرف دلالات الألفاظ ومراميها، ويدرك أنها ستحدث ولو بعد حين، ودليل ذلك استخدامه لفظة (الأولين)، وقد تحققت دلالاتها بهجرة أم ملحان ومن معها، واستشهادها قبل وصول الأندلس، ولأن الرسول عليه السلام فصيح، ويلجأ إلى الإيجاز في كلامه، فإنه ترك المجال للتأويل، بأن (الأولين) تقتضي (الآخرين)، وهم فاتحو الأندلس لاحقًا، وهذا ما حدث بالفعل.

واستثمر ابن حزم في سياق دفاعه عن الأندلس وأعلامها من هجوم الأندلسيين أنفسهم على أبناء بلدهم، وإنكارهم جهودهم عبارة من الإنجيل، حيث يقول: "وقرأت في الإنجيل أن عيسى عليه السلام قال: لا يفقد النبي حرمته إلا في بلده"[١٦٨]، وقد ربط هذه العبارة ومدلولها بما يسعى إليه من أن العالم لا يلقى التقدير الذي يستحق في بلده، ومن قومه، وإنما من الآخرين الذين يحترمونه، ويقدرون جهوده في العلم والمعرفة، وهو إذ يأتي بمثل هذه العبارات إنما يهدف إلى تأكيد فكرته المتمثلة بدور بعض أهل الأندلس السلبي من خلال نظرتهم لعلماء بلدهم، وجحود فضلهم وعدم إظهاره، كذلك يهدف إلى تعميم الفكرة المتمثلة

---

(١٦٢) أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص٢١١.

(١٦٣) ثبج البحر: معظمه، وعلوه ووسطه إذا تلاقت أمواجه. "اللسان: ثبج".

(١٦٤) ينظر: الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ج١، ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١، ص١٥١٨_١٥١٩.

(١٦٥) ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٣_١٧٤.

(١٦٦) المصدر السابق، ص١٧٣.

(١٦٧) صحيح مسلم، ج١، ص٣٧١.

(١٦٨) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٧. وقد جاء في إنجيل يوحنا: "ليس لنبي كرامة في قومه". ينظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح ٤، ٤٤، بيروت: مطبعة الأميركان، ١٩٠٨، ص٣٢٩.

بأن هذا التنكر ليس في الأندلس فحسب، إنما في سائر البلدان، إذ يوجد محبطون ومثبطون في كل زمان ومكان، فالأمر لا يقتصر على الأندلس وحدها.

٢. التناص الأدبي

لقد استحضر ابن حزم في رسالته مثلين من أمثال العرب، وأفاد من مدلولاتهما وربطهما بسياقاته ورؤاه، فالأمثال "من أجلّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها"[١٦٩]، وتتميز بالإيجاز، وقد استدعى ابن الحزم المثلين ليعبر من خلالهما عن المعاني التي يقصد إليها، ويكونا وسيلته في الإقناع والتأثير، وتقوية المعاني وتوضيحها؛ لأنه عندما تأتي الأمثال في الكلام تكون "زيادة في الكشف، وتتميمًا للبيان".[١٧٠]

أما المثل الأول، فقد لجأ إليه الكاتب، ووظفه في وصف حالته أمام صاحب البونت الذي كلفه بالرد على ابن الربيب، وقد جاء المثل بصيغة توحي بتواضع ابن حزم أمام هذا السلطان، واحترامه له، إذ يقول: "وإن كنت في إخباري إياك بما أرسمه في كتابي هذا كمهد إلى البركان نار الحباحب"[١٧١]، حيث استدعى ألفاظ المثل "أخلف من نار الحباحب"[١٧٢]، والحباحب "ما اقتدح من شرر النار، وقيل: الذباب يطير بالليل كأنه شرر"[١٧٣]، وعليه فإنها لا تضيء كثيرًا، وسرعان ما تنطفئ، وهو مثل يضرب للبخيل، إذ "لا توقد له نار بليل مخافة أن يُقتبس منها، وإن أوقدها ثم أبصرها مستضيء أطفأها"[١٧٤]، إلا أن ابن حزم في تحويره المثل واستثماره ألفاظه، إنما عكس دلالته، ونقلها من الصفة السلبية (البخل) إلى صفة إيجابية (العظمة والمنزلة العالية)؛ لأنه أدخل على المثل ألفاظًا جديدة، سبقت تركيبته الأصلية، وهي (مهدٍ إلى البركان)، والبركان تدل مجازيًّا على السلطان، إذ هو في عظمته ومكانته كالبركان القوي، أما ابن حزم، فإنه كنار الحباحب أمامه، ما يدل على تواضعه الكبير، واعترافه بفضل صاحب البونت، الحريص على بلده والدفاع عنها، وهذا هو سبب احترام ابن حزم له، وعليه فإن التناص مع المثل ارتكز على آلية التحوير، والتغيير في الألفاظ، من حيث حذف بعضها وإبقاء الآخر، وفي دلالته ومعناه، من حيث نقله من السلبية إلى الإيجابية.

أما المثل الآخر الذي استدعاه ابن حزم، فقد جاء في سياق دفاعه عن أهل بلده من أبنائها، يقول: "فالحكم في ذلك ما جرى به المثل السائر (أزهد الناس في عالم أهله)"[١٧٥]، وقد عده مثلًا، وهو صالح لذلك، إلا أن كتب الأمثال لم تورده، وإنما أورده بعض أهل

---

(١٦٩) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله: جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، ط١، بيروت: دار الجيل، دار الفكر، ١٩٨٨، ص٤_٥.

(١٧٠) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ج١، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦، ص١٩٥.

(١٧١) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.

(١٧٢) الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، ج١، د.ط، المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة، ١٩٢٥، ص٢٦٣.

(١٧٣) اللسان: حبحب.

(١٧٤) ينظر: مجمع الأمثال، ج١، ص٢٦٣.

(١٧٥) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٧.

الحديث على أنه من أحاديث الرسول عليه السلام، وذلك بقوله: "أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه".[١٧٦]

ومهما يكن من أمر، فإنه يمثل تناصًا على المستويين: اللفظي والمعنوي، إذ تمثل به الكاتب في وصف علماء بلده، وتنكر أبناء جلدتهم لهم، وقد اقتبسه اقتباسًا مباشرًا، دون أن يغير في تراكيبه وترتيبها، فضلًا عن استثماره دلالاته، وإسقاطها على أحوال علماء الأندلس مع أقوامهم، وما يعانون من جحود وإنكار.

ويدخل في سياق التناص استدعاء ابن حزم بعض الشخصيات الدينية والتراثية، وقد جاء استحضاره لها في رد مزاعم ابن الربيب، وتأكيد نسبة الأندلسي الذي هاجر إلى الأندلس، وتحديد شخصيته، وقد ضرب أمثلة من الصحابة، أمثال (علي بن أبي طالب، عبدالله بن مسعود، حذيفة بن اليمان)[١٧٧]_ رضي الله عنهم_ الذين نُسبوا إلى الكوفة، على الرغم من أن موطنهم الأول هو مكة والمدينة، لكنهم هاجروا إلى الكوفة وسكنوها، وكذلك الأمر مع (عمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر)[١٧٨] الذين نُسبوا إلى البصرة، على الرغم من أن موطنهم الأول هو الحجاز، إنه يريد إقامة الدليل في تحديد من هو الأندلسي، من خلال المقارنة بين هذه الشخوص، وشخوص الأندلس الذين هاجروا إليها من مختلف الأصقاع، ليخرج بنتيجة مفادها: "فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحقّ به".[١٧٩]

يمثل التناص أداة مهمة من الأدوات التي أسهمت في بناء النص على المستويين: الموضوعي والفني، ويعدّ آلية توسل بها ابن حزم؛ لكي تساعده في تحقيق رؤاه، وتأكيدها بالأدلة الموثوقة التي استقاها من القرآن، والسنة، والتراث الأدبي والحضاري، إضافة إلى دورها في بث الحيوية في النص، وجعله قابلًا للتأويل، ويمتلك الشاعرية والجمال اللذين ينأيان بالقارئ عن الرتابة والملل، ويدل هذا التوظيف النصي أيضًا على سعة اطلاع ابن حزم على تراث العرب والمسلمين، وسعة مخزونه المعرفي، والفكري الذي أسهم في إغناء تجربته، وساعده في تدعيم أفكاره، وتوكيد آرائه، وتتميم معانيه وترسيخها.

ثالثًا: أساليب الحِجاج

يرتبط مفهوم الحِجاج بالحقل المعرفي والعلمي الذي ينتمي إليه، ففي القرآن الكريم والشريعة الإسلامية يدل على "البرهان على الحق، والدلالة البيّنة للمقصد، وصحة الدعوى ودليلها"[١٨٠]، وفي الفلسفة هو "فن

---

[١٧٦] ينظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج١، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٢، ص١١٨.

[١٧٧] ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٥.

[١٧٨] ينظر: المصدر السابق، ص١٧٥.

[١٧٩] ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٦.

[١٨٠] ينظر: ابن الحنبلي، ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم: كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي، ط٢، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٨٠، ص٥٣_٦٢. والفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، ج٢، ط٣، القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، ١٩٩٦، ص٤٣١. والجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، د.ط، القاهرة: دار الفضيلة، ٢٠٠٤، ص٧٣.

ترتيب الأفكار ترتيبًا دقيقًا، بحيث يؤدي إلى الكشف عن حقيقة مجهولة، أو إلى البرهنة على صحة حقيقة معلومة، أو هو مراجعة الكلام، وتبادل الرأي من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة"[١٨١]، أما في اللغة والبلاغة، فهو فعل لغوي تداولي حواري تخاطبي مقامي، يرتبط بـ"جملة من الأساليب، تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفز المتلقي على الاقتناع بما تعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع"[١٨٢]، وتقوم هذه الأساليب على "مجموعة من الأدوات التي توفرها اللغة، للربط بين مفاصل الكلام وأجزائه، فتأسس عندها العلاقات الحجاجية".[١٨٣]

ولأن الحجاج هدفه الإقناع والتأثير، فإن رسالة ابن حزم لا تخلو من "المساعي الإقناعية التي ترمي إلى استدراج الآخر للمصادقة على قضيته الجوهرية، وإفحامه وإقامة الحجة على ما اعتقده"[١٨٤]، ويمكن القول إن أبرز الأدوات الإقناعية التي تمثلت في الرسالة، ترتبط بأساليب الإخبار، والإنشاء والشرط وغيرها، والملحوظ أن الكاتب قد أكثر من أساليب الإخبار، و"نزع إلى تغليبها على أساليب الإنشاء؛ لكونها تفضي إلى الإثبات والتقرير، إضافة إلى ما يضطلع به الخبر مما ليس في الإنشاء من القدرة على ترسم صورة قارة تغني الخطاب، فضلًا عن أن الخبر لا يُتصور وقوع خلافه، والإنشاء قد تقع مخالفته"[١٨٥]، فالنص الخبري يهدف إلى الإعلام، والإخبار والتنبيه، وشد المتلقي إليه، وإلى ما سيقدم به من معارف، وأدلة وخبرات.

لقد نوّع ابن حزم في أساليبه الإخبارية، فتارة يأتي بها منفية، كقوله عن القيروان: "ما أذكر أني رأيت في أخبارها تأليفًا غير "المعرب في أخبار المعرب"، وحاشا تآليف محمد بن يوسف الوراق"[١٨٦]، وقوله في كتاب (التمهيد) لأبي عمر يوسف بن عبدالبر: "لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلًا"[١٨٧]، وقوله: "وليس لأحد من المتقدمين مثله"[١٨٨]، وقوله: "لا أعلم في الرجال أحد مثله"[١٨٩]، وقوله: "لم يؤلف مثله اختصارًا وإكثارًا وثقة نقل"[١٩٠] وغيرها، ولعل مثل هذه الأساليب الإخبارية القائمة على النفي "تؤسس لكون القضية المطروحة من قبيل المسلمات التي لا تمارى؛ إذ هو يعرض الأمر كأنه تحقق وقُضي، وفي ذلك تقوية لحضوره في ذهن المتقبل على وجه الثبوت الذي

---

[١٨١] ينظر: الطويل، توفيق: أسس الفلسفة، ط٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨، ص١١١.

[١٨٢] ينظر: الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي_ بنيته وأساليبه، ط٢، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١، ص٢١. نقلًا عن: بيرلمان وتيتيكاه Chaim Perelman et Lucie Olbrechts Tyteca، مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، Traite de I'argumentation: La novella rhetorique، المطابع الجامعية بليون Presses Universitaires de Lyon، ج١، ١٩٨١، ص١٣.

[١٨٣] ينظر: المرجع السابق، ص٣١٨.

[١٨٤] رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، ص٦٩.

[١٨٥] المرجع السابق، ص٦٩_ ٧٠.

[١٨٦] رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٥.

[١٨٧] المصدر السابق، ص١٧٩.

[١٨٨] المصدر السابق، ص١٨٠.

[١٨٩] المصدر السابق، ص١٨٠.

[١٩٠] المصدر السابق، ص١٨٢.

لا يخالطه شك، ومن شأن ذلك أن يكون أبلغ وأوكد في إقناعه".[١٩١]

ويجنح من جهة أخرى إلى الأخبار المثبتة، كقوله عن قرطبة: "فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو، والشعر، واللغة، والخبر، والطب، والحساب والنجوم، بمكان رحب الفناء، واسع العطن، متنائي الأقطار، فسيح المجال"[١٩٢]، وقوله في وصف علماء الأندلس: "على أنهم العلية الرؤساء، والأكابر العظماء"[١٩٣]، وقوله في التصانيف الأندلسية: "وألفت عندنا تآليف في غاية الحسن" [١٩٤]وغيرها.

إن مثل هذه الجمل الخبرية المثبتة التي لا تخلو من المؤكدات في كثير من الأحيان، لتدل على أن الكاتب يسعى إلى تقديم الحقيقة المفيدة من خلالها، ساعيًا إلى إخبار المخاطب و"إفادته بما يعتقد عدم معرفته به، أو بما لم يطرأ في ذهنه، ولم يفكر فيه"[١٩٥]، قاصدًا إقناعه، والتأثير فيه من خلال تضمين الجمل أخبارًا وأحكامًا مثبتة، يهدف من خلالها إلى الفخر بمضمونها.

ويأتي في مواضع أخرى بأخبار ترتكز على أسلوب الحصر، كقوله: "فإنه لا يفلت من هذه الحبائل، ولا يتخلص من هذه النصب إلا الناهض الفائت، والمطفف المستولي على الأمد"[١٩٦]، وقوله: "ما وضع في الرجال أحد مثله، إلا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي"[١٩٧]، وقوله: "فما شأه أبو عبيد إلا بتقدم العصر فقط"[١٩٨]، لقد لجأ الكاتب إلى هذا الأسلوب الحصري، القائم على النفي والاستثناء_ وهذا ملمح عام في أخباره المحصورة_ لكي "يؤسس على ملحظ التبئير[١٩٩]، وهو من البؤرة، ويفيد من الناحية الاصطلاحية في علم اللسان انحصار الكلام في معنى معين، بإلقاء الأضواء على العنصر الأساسي فيه، باعتباره مدار الكلام في الجملة، إذ هو يمثل المعلومة المركزية فيها"[٢٠٠]، فضلًا عن أنه يمثل موضوع النقاش أو الجدل الذي يسعى الكاتب لأن يكون منتصرًا فيه، بأن يحقق ما يصبو إليه من جدله بالموضوع، فيكون هو الصواب، دون الانتقاص من رأي غيره وفضله.

ولا يتوقف الأمر عند ابن حزم في حجاجه على أسلوب الخبر، إنما يستثمر أساليب الإنشاء المتنوعة، ولا سيما الطلبية منها؛ لما لها من "ارتباط بالوعي الكامن في ذهن المخاطب، كما يتصوره المتكلم، ليضبط فيه القدرة على التحكم بالغرض والعناية به،

(١٩١) رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، ص٧٠.
(١٩٢) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٤_١٧٥.
(١٩٣) المصدر السابق، ص١٧٦.
(١٩٤) المصدر السابق، ص١٧٨.
(١٩٥) ينظر: جمعة، حسين: جمالية الخبر والإنشاء_ دراسة بلاغية جمالية نقدية، د.ط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥، ص٥٢_٥٨.
(١٩٦) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٨.
(١٩٧) المصدر السابق، ص١٨٠.
(١٩٨) المصدر السابق، ص١٨٠_١٨١.
(١٩٩) رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، ص٧١.
(٢٠٠) ينظر: صولة، عبدالله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط٢، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧، ص٢٨٣.

لعظيم أمره وجليل شأنه، فالأسلوب اللغوي البلاغي في هذا المقام، يمنح الدلالة قيمتها الجمالية من جهة خلق النسيج المتجانس، بين تجربة المخاطب والوظيفة المختزنة للغايات"(٢٠١)، وقد سعى الكاتب من خلال هذه الأساليب إلى غاية حجاجية، مفادها إظهار العناية بالشيء، والاهتمام به، والحث عليه والترغيب به.

ويعدّ الاستفهام من أبرز الأساليب الإنشائية الطلبية التي وظفها ابن حزم، وأكثر منها في سياقات المفاضلة والمقارنة بين الأندلس وغيرها من البلدان، وما اشتملت عليه من فضائل، وتآليف وعلماء، ومن ذلك استفهامه عقب الحديث عن كتاب (التمهيد) لابن عبدالبر: "وهو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلًا، فكيف أحسن منه؟"(٢٠٢)، واستفهامه الممزوج بالفخر بعلماء بلده وأدبائها: "فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب، وأحمد بن عبدالملك بن مروان ...؟"(٢٠٣)، إن مثل هذين الاستفهامين لا يقتضيان أو يتطلبان إجابة، فالمستفهم عنه في نظر الكاتب هو من "قبيل المشهورات في عوالم المستفهمين، ومما قرّ في عرفهم؛ لذا فإن ذلك يقتضي بأن قصد الباث منها يجاوز غرض تطلّبه إجابة"(٢٠٤)، بل إن الإجابة معروضة في متن السؤال، وهي من القضايا المعلومة، ولا يسعى المخاطب إلا الاعتراف بها.

وربما أنهم "إنما سئلوا عنها ليوجبوها، ويصادقوا عليها من تلقاء أنفسهم، حتى إذا ما حصلت المصادقة من قبلهم_ وهي لا بدّ حاصلة_ كان ذلك وسيلة للترقي في سلم الإقناع"(٢٠٥) بجوهر القضية محل الاستفهام، وكأنه لا يطمع في ذلك إلا إلى "الاستحواذ على وعي مخاطبيه، وتغيير تصوراتهم بإرادتهم هم، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا استطاع أن يخلق شعورًا لدى مخاطبه بأنه طرف فاعل له رأيه وتوجهه، وأن لا فعل ولا تصرف دون مباركته، وإن ذلك لمّا يتيح للمتكلم الانسحاب، تاركًا له تحديد الحكم"(٢٠٦) على القضية موطن الاستفهام؛ ليكون بذا مبعث إقراره من لدنه(٢٠٧)، لأن "الإقرار الحاصل من المخاطب بفضل الاستفهام، سرعان ما يصبح في سياق الخطاب العام حجة على خطل رأيه، وفساد معتقده".(٢٠٨)

أما الإنشاء غير الطلبي، فقد وظفه ابن حزم في بعض السياقات، وهدف منه إلى تثبيت مضمونه، وتبيان أنه مرغوب فيه لأهميته، فضلًا عن تأكيده لما له من أحقية، وأنه لا جدال بمكانته، ومن ذلك

(٢٠١) جمالية الخبر والإنشاء_ دراسة بلاغية جمالية نقدية، ص٤٣.
(٢٠٢) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٩.
(٢٠٣) المصدر السابق، ص١٨٧_١٨٨.
(٢٠٤) رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، ص٧١.
(٢٠٥) ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢، ط٣، القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٤، ص٣٢٧_٣٤٥.
(٢٠٦) ينظر: الأمين، محمد سالم ولد محمد: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، مج٢٨، ع٣، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠، ص٧٨.
(٢٠٧) رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، ص٧٢.
(٢٠٨) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٤٢٩.

استخدامه أسلوب القسم عند حديثه عن الطب في الأندلس ومصنفاته، إذ يقول: "ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه، ولا أحسن للقول والعمل في الطباع، لنصدقن"(٢٠٩)، فاللام في (لئن) موطئة للقسم، وفي (لنصدقن) واقعة في جوابه، واقترن الفعل بعدها بنون التوكيد، وهذه الوسائل اللغوية إنما جاءت لتأكيد أهمية المتحدث عنه، وهو الطب، إذ هو من أحسن العلوم وأجمعها، وقد توسل بها الكاتب؛ لتكون بمثابة أدوات إقناعية، وروابط حجاجية تربط تراكيب الجملة، وتجعلها متماسكة، تؤدي الغرض منها باقتدار، وترسخه في ذهن المتلقي، وتقيم عليه الحجة وتلزمه بها، ويقسم في موضع آخر بقوله: "ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوًا وخبرًا، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعرًا"(٢١٠)، حيث صدر الشرط بالقسم، وذلك "لكمال الحجة وتأكيدها".(٢١١)

وقد أكثر ابن حزم من استخدام أسلوب الشرط، ولا سيما الشرط المرتكز على الأداة (أما) التفصيلية؛ لكونها الأقدر على تتبع الشيء، وأقسامه، وضروبه والتفصيل فيها، فضلًا عن دورها في التوكيد، والربط بين الجمل والعبارات، ومن ذلك قوله: "فأما مآثر بلدنا، فقد ألّف في ذلك أحمد بن محمد الرازي ..."(٢١٢)، وقوله: "وأما الفلسفة، فإني رأيت فيها رسائل مجموعة ..."(٢١٣)، وقوله: "وأما الطب، فكتب الوزير يحيى بن إسحاق، وهي كتب رفيعة حسان ..."(٢١٤)، إن هذه الجمل الشرطية تحقق "ارتباطًا تلازميًّا، حيث يقتصر ارتباط عبارة الجواب بعبارة الشرط على التلازم"(٢١٥)، بمعنى أن جواب الشرط متحقق لا محالة، ومصاحب لفعله، وإنما الغرض منه هو توضيحه وتفصيله؛ لذا فإن الكاتب يفصل بأسماء العلماء، والأدباء، ومصنفاتهم ويقيمها بعد جملة الشرط، وقد غدت هذه الجملة كأنها عنوان أو مفتتح لكل مأثرة، أو علم يريد ابن حزم الحديث عنه، والتفصيل فيه.

وقد يؤخر ابن حزم جواب الشرط أحيانًا، كقوله: "ولما ضمنا المجلس الحافل بأصناف الآداب، والمشهد الآهل بأنواع العلوم، والقصر المعمور بأنواع الفضائل ...."(٢١٦)، ثم يشيد بصاحب البونت، ليخلص إلى جواب الشرط بقوله: "فتناولت الجواب المذكور، بعد أن بلغني أن ذلك المخاطب قد مات، رحمنا الله تعالى وإياه"(٢١٧)، فقد أخر جواب الشرط، ولم يتبعه مباشرة لفعله، ما يقتضي "تطويلًا لأفق انتظار المتقبل في تصوره ضروب إمكان ذلك الجواب التي ستزدحم في فكره، كلما أطال عليه فيه، ولعل ذلك أمضى حجة وأبعد أثرًا، إذ إن المخاطب بعد أن استُدرج استدراجًا مطولًا لتلقي الجواب، يكون على أهبة الاستعداد لأن يصادق على فحواه؛ لكون ازدحام تلك الجمل المتتابعة مدعاة إلى التعظيم، والغلو والمبالغة في تصوره، فلئن

(٢٠٩) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٨٥.
(٢١٠) المصدر السابق، ص١٨٢.
(٢١١) الإتقان في علوم القرآن، ص٦٧٥.
(٢١٢) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.
(٢١٣) المصدر السابق، ص١٨٥.
(٢١٤) المصدر السابق، ص١٨٥.
(٢١٥) ينظر: زروقي، أبو بكر: دلالات الارتباط في أسلوب الشرط_ دراسة في نصوص من صحيح البخاري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع٦، الجزائر: جامعة محمد خيضر_ بسكرة، ٢٠١٠، ص٥٣.
(٢١٦) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص١٧٢.
(٢١٧) المصدر السابق، ص١٧٢.

اهتدى إليه بنفسه وتصوره، كان ذلك الجواب مدعاة لتسليمه به، وإذعانًا لفحواه، وأبلغ في ردعه وزجره عمّا يُكره منه".(٢١٨)

لقد توسل ابن حزم بكل ما يعينه من أدوات لغوية بلاغية إقناعية؛ لكي يحقق ما يصبو إليه في الرد على ابن الربيب، محاولًا إقناعه وإقناع غيره بفضائل بلده، ودورها في إغناء الفكر والحضارة، فلجأ إلى أساليب حجاجية ارتكزت على الجمل الإخبارية، والإنشائية، والشرطية وغيرها، ليجعلها وسيلته في الرد، والتأثير والجدل، وحقق من خلالها غايته الموضوعية المتمثلة بإبراز علوم الأندلسيين وأعلامها، والفنية المتمثلة بتحقق الجمال الأدبي، الناتج عن أساليب البلاغة، وتراكيب اللغة ودلالاتها.

**الخاتمة**

سعت الدراسة إلى إلقاء الضوء على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها، من خلال معالجتها وفق مستويين: مستوى الرؤية وأبعادها، ومستوى التشكيل وأبرز آلياته، وقد خلصت إلى النتائج الآتية:

أولًا: استطاع ابن حزم تحقيق هدفه المتمثل بالرد على ابن الربيب الذي عاب على الأندلسيين تقصيرهم في تخليد مآثر بلدهم وفضائل علمائهم، وذلك من خلال حشده الكثير من التآليف، والمصنفات، وأسماء المؤلفين الأندلسيين، ما يدل على الدور الكبير الذي اضطلعت به الأندلس وأهلها في إغناء الفكر والحضارة الإسلامية والعربية.

ثانيًا: سعى ابن حزم في رده على ابن الربيب إلى إقامة الحجة عليه، من خلال سوق الأدلة والبراهين، معتمدًا أسلوبي النقاش والجدل العلميين، المفضيين إلى الإقناع.

ثالثًا: إن ما يحقق للرسالة نصيتها، وأدبيتها وتماسكها، ارتكازها على ثنائية الرؤية والتشكيل، إذ اشتملت على رؤية متعددة الأبعاد كالبعد الذاتي، والغيري/ الجمعي والنقدي، وما كانت هذه الأبعاد والرؤى لتتحقق لولا آليات التشكيل الفني التي توسل بها الكاتب كاللغة ودلالاتها، والتناص وأساليب الحجاج، ما ساعد الكاتب في التعبير عن أفكاره، وإكسب النص جمالًا وحيوية.

رابعًا: جاءت الرسالة تحت ما يسمى رسائل فضائل البلدان، وقد كان كاتبها منصفًا إلى حد كبير؛ لكونه كان في سياقاته وبراهينه معترفًا بفضل الآخرين من غير بلده، مع الإشادة ببعضهم في أحيان كثيرة، فضلًا عن أنه لم ينتقص منهم ومن جهودهم، والتزم أدب الحوار في ردوده، ما يدل على قدرته على حسن الرد دون إساءة.

خامسًا: إن الرسالة بما اشتملت عليه من علوم ومعارف، توحي بسعة اطلاع ابن حزم، وغناء مخزونه الفكري والثقافي.

**المصادر والمراجع**

(٢١٨) رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، ص٧٣.

- ابن الأبار، محمد بن عبدالله بن أبي بكر: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥.
- ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط٢، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت.
- الإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١.
- الأمين، محمد سالم ولد محمد: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، مج٢٨، ع٣، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠.
- إنجيل يوحنا، بيروت: مطبعة الأميركان، ١٩٠٨.
- بالنثيا، آنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، ط٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٥٥.
- بدر، عبدالمحسن: نجيب محفوظ_ الرؤية والأداة، د.ط، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٨.
- بدوي، محمد مصطفى: كولردج، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨.
- بلبع، عبدالحكيم: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، ط٢، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩.
- بويحيى، الشاذلي: مساهمة الأفارقة في الحياة الثقافية بالأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، حوليات الجامعة التونسية، ع٢٠، تونس: الجامعة التونسية، ١٩٨١.
- تاوريريت، بشير: الحقيقة الشعرية في ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية_ دراسة في الأصول والمفاهيم، ط١، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠.
- تودوروف، تزفيطان: مفاهيم سردية، ترجمة: عبدالرحمن مزيان، ط١، الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٥.
- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، د.ط، القاهرة: دار الفضيلة، ٢٠٠٤.
- جمعة، حسين: جمالية الخبر والإنشاء_ دراسة بلاغية جمالية نقدية، د.ط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥.
- جيرالد، برنس: قاموس السرديات، ترجمة: السيد إمام، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣.
- حلبي، أحمد: أشكال التناص الشعري_ شعر البياتي نموذجًا، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٣٠، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧.
- ابن حزم، علي بن أحمد: الديوان، تحقيق: صبحي عبدالكريم، ط١، طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٩٩٠.

- ابن حزم، علي بن أحمد: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧.

- ابن حزم، ابن سعيد، الشقندي: فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨.

- الحميدي، محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، د.ط، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة تراثنا، المكتبة الأندلسية (٣)، ١٩٦٦.

- ابن الحنبلي، ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم: كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم، تحقيق: زاهر بن عواض الألمعي، ط٢، الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٨٠.

- ابن خير الإشبيلي، محمد بن خير: فهرسة ابن خير الإشبيلي، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨.

- الدريدي، سامية: الحجاج في الشعر العربي_ بنيته وأساليبه، ط٢، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١.

- الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، القاهرة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٤.

- زروقي، أبو بكر: دلالات الارتباط في أسلوب الشرط_ دراسة في نصوص من صحيح البخاري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع٦، الجزائر: جامعة محمد خيضر_ بسكرة، ٢٠١٠.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٦.

- سارتر، جان بول: ما هو الأدب؟، ترجمة: محمد غنيمي هلال، د.ط، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١.

- ابن سعيد، علي بن موسى: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١.

- السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨.

- أبو صعيليك، محمد: الإمام ابن حزم الظاهري_ إمام أهل الأندلس، ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٥.

- صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد: طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو، ط١، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢.

- صبحي، محيي الدين: الرؤيا في شعر البياتي، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧.

- الصكر، حاتم: الذات الممحوة بالكتابة، مجلة راية مؤتة، ع٢، الأردن: جامعة مؤتة، ١٩٩٣.

- صولة، عبدالله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط٢، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٧.

- الطويل، توفيق: أسس الفلسفة، ط٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨.

- عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي_ عصر سيادة قرطبة، ط٢، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٩.

- عبدالرحيم، مصطفى عليان: تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.

- عبيد، محمد صابر: تمظهرات التشكل السيرذاتي، ط١، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥.

- العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٢.

- ابن عذاري المراكشي، أحمد بن محمد: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ج٢، ط٢، بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٠.

- عويس، عبدالحليم: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط٢، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٨.

- العيد، يمنى: تقنيات السرد الروائي، ط٢، بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٩.

- الغذامي، عبدالله: ثقافة الأسئلة_ مقالات في النقد والنظرية، ط٢، الكويت: دار سعاد الصباح، ١٩٩٣.

- الفارس، محمد: الرؤيا الإبداعية في شعر صلاح عبدالصبور، د.ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.

- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، ط٣، القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، ١٩٩٦.

- قبيلات، نزار وآخرينِ: رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس وذكر رجالها_ دراسة تأصيلية نصية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج ٢٠، ع٨، العراق: جامعة تكريت، ٢٠١٣.

- القيسي، فايز: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٨٩.

- القيسي، فايز: ابن حزم مفهرس الأندلس ومدّاحها_ دراسة نقدية في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس وذكر رجالها، مجلة راية مؤتة، مج٣، ع٢، الأردن: جامعة مؤتة، ١٩٩٤.

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: كتاب الفوائد (المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان)، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

- كريستيفا، جوليا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، ط٢، الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٩٧.

- الكلاعي، أبو القاسم محمد بن عبدالغفور: إحكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، د.ط، بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٦.
- لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبدالله السلماني: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٢، بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦.
- ماجد، جعفر: العلاقات بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والقرن الخامس للهجرة، حوليات الجامعة التونسية، ع١٣، تونس: الجامعة التونسية، ١٩٧٦.
- مفتاح، محمد: التشابه والاختلاف_ نحو منهاجية شمولية، ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦.
- المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، د.ط، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.
- ابن منظور، جمال بن مكرم: لسان العرب، د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.
- الميداني، أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، د.ط، المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة، ١٩٢٥.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله: جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، ط١، بيروت: دار الجيل، دار الفكر، ١٩٨٨.
- هيكل، أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د.ط، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣.

# Ibn Hazm al-Andalusi's Treatise on The Virtue of Andalusia and its Main Personalities: A Study in the Vision and Form

Dr. Omar Faris Al-Kafaween
*Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Philadelphia University, Jordan*

***Abstract.*** this study aimed to clarify the treatise of Ibn Hazm on the virtue of Andalusia and its main personalities, and addressed both thematically and formally, starting from its vision and formation. In doing so, the study traced the most prominent dimensions of vision in it, such as the subjective dimension, and the other / collective and the critical, and provided a thematic study, starting from the goal of the treatise and its motivations, and then examined the mechanisms of artistic formation that the author utilized to embody his ideas and visions, such as language, intertextuality and arguments, which contributed to the aesthetic and vitality of the text of the message, as a coherent creative work.

The study adopted the thematic and analytical approach to reveal the dimensions and reservoirs of vision, integrated with the formalist approach that helped in revealing the artistic technical mechanisms. The study had several conclusions, the most important of which were: ibn Hazm's ability to respond to ibn Al-Rabib, who blamed the Andalusians for their failure to perpetuate the merits of their country and the virtues of their scientists, through arguments, evidence and facts, besides the allusion to a large number of works by Andalusian authors, as well as the fact that the treatise met the requirement of textuality and discourse as it had both vision and relevant corresponding form, which worked together to support the construction of the text.

**Keywords**: Ibn Hazm, His Treatise on The Virtue of Andalusia, Vision, Composition.